
King Saud University 1957
جامعة الملك سعود


حاشية
على البردة
ابراهيم
الباجوري

٨١١٫٥
ح٠ ب

حاشية الباجورى على الكواكب الدرية في مدح خير البرية

تأليف الباجورى، ابراهيم بن محمد ـ ١٢٧٧هـ. بخط

محمد بن يوسف الصفتي ـ ١٢٦٦هـ.

٦٠ ق ٢٥ س ٢١×١٥٫٥ سم

٩٥٦

نسخة حسنة ، خطها نسخ .

الاعلام ١ : ٦٦، دار الكتب المصرية ٣ : ٨٠

١ـ الشعر، العصر التركي والمملوكي، ادب اللغة العربية

أـ المؤلف ب ـ الناسخ جـ ـ تاريخ النسخ دـ حاشية

على البردة ـ حاشية على شرح الكواكب

الدرية في مـــــــدح خير البرية .

هذه حاشية العمدة الفاضل شيخ
مشايخنا العلامة ابراهيم
الباجوري على متن
البردة للامام
شرف الدين
ابو عبد الله
محمد بن سعيد
البوصيري
[illegible]

دخل في ملك كاتبه الفقير
مصطفى خليل جبعي بالشيخ
عبد الله في ١٥ القعدة ٦٦
سنة وستين
عفو الله
عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن شرح بمدح نبيه قلوب اوليائه ووشحهم ببردة محاسنه وطيب
سنائه وصلاة وسلاما على من خصه بخواص هباته وكمله باكمل عناياته
اما بعد فيقول راجي غفران ربه الكريم عبد الباجوري ابراهيم
اعلم ان مدحه صلى الله عليه وسلم لم يتعاطه فحول الشعر المتقدمين
لان كمالاته صلى الله عليه وسلم لا تحصى وشمائله لا تستقصى فالمادحون
لجنابه العلي والواصفون لكماله الجلي مقصرون عما هنالك قاصرون
عن ادراك ذلك كيف وقد وصفه الله في كتبه بما يبهر العقول ولا يستطاع
اليه الوصول فلو بالغ الاولون والاخرون في احصاء مناقبه لعجزوا
عن ضبط ما حباه مولاه من مواهبه ولقد احسن من قال

ارى كل مدح في النبي مقصرا وان بالغ المثني عليه واكثرا
اذا الله اثنى بالذي هو اهله عليه فما مقدار ما تمدح الورى

فكل علو في حقه تقصير ولا يبلغ البليغ الا قليلا من كثير
لكن المتأخرون رأوا مدحه بالشمائل والكمالات من اعظم القرب والطاعات
لاجل التعلق بجنابه الشريف والتبرك بخدمة قدره المنيف فاكثروا
من مدحه وتفننوا فيه فنونا كثيرة ومن اجلهم الامام الكامل والهمام
العالم العامل البليغ الاديب اشعر العلماء وافصح الحكماء الشيخ شرف الدين
ابو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري ومما صاغه صوغ الذهب الاحمر
ونظمه نظم الدر والجوهر قصيدته المشهورة بالبردة وانما اشتهرت
بذلك لانه لما نظمها بقصد البرء من داء الفالج الذي اصابه فابطل نصفه
حتى اعجز الاطباء رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فمسح بيده عليه
ولفه في بردة فبرئ لوقته كما قاله الناظم في تعليقه وقال بعضهم
الاولى ان يقال لهذه القصيدة برأة لان المؤلف برئ بها والتحقيق
ان يقال لها بردة بانت سعاد التي هي قصيدة كعب بن زهير لان النبي صلى الله
عليه وسلم اجازه عليها ببردة حين انشدها بين يديه وقد سألني بعض

الاخوان

١

الاخوان اصلح الله لي ولهم الحال والشان ان اكتب عليها حاشية تبين
مقصودها وتبرز مرادها فاجبته لذلك وان كنت لست اهلا لما هنالك
فالتقطت بعض العبارات واجتنيت بعض الثمرات وبالله التوفيق لاقوم طريق
قد اشتهر ابتداء هذه القصيدة ببيت مشتمل على الحمد والصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم وهو

الحمد لله منشي الخلق من عدم ثم الصلاة على المختار في القدم

وهو ليس منها لانه وان كان حسنا في ذاته الا ان ابتداء القصيدة به غير
مستحسن عند الادباء لما جرت به عادتهم من افتتاح قصائدهم بذكر لوازم
العشق من ذكر الاحبة وديارهم ومقاساة الاحزان والاشواق وتحمل
مكاره الفراق ويسمون ذلك غزلا وتشبيبا ويعدون هذا الصنيع من
حسن المطلع لاهتمامهم بشان العشق واغتنامهم شدائده ولذلك قال
بعضهم الشعر لا يبدأ بالبسملة والحمدلة وقد جرت عادة الشعراء بانهم يجردون
من انفسهم شخصا يحاورونه دلالا وعتابا وسؤالا وجوابا ايهاما
لندرة خبير يظهرون رموز العشق عليه وتخييلا لغفلة صديق بضمير
كنوز الحب لديه ولما كان الناظم من ابلغهم وافصحهم صنع هذا الصنيع
كما ستراه ان شاء الله تعالى قوله امن تذكر الخ قد جرد الناظم من نفسه
شخصا مزج دمعه الجاري من مقلته بالدم وخاطبه بذلك مستفهما
عن سبب مزج الدمع الجاري من المقلة بالدم ما هو هل هو تذكر الجيران
المقيمين بذي سلم او هبوب الريح من جهة كاظمة او ايماض البرق في الليلة
الظلماء من اضم وعلم من ذلك ان الهمزة للاستفهام ومن للتعليل فهي بمعنى
لام الاجل وهي متعلقة بقوله مزجت وقدمها عليه تنبيها على ان الشك
ليس في نفس المزج اذ هو ثابت مشاهد بل الشك في سببه والتذكر مصدر
تذكر ماخوذ من الذكر بالضم وهو ضد النسيان والجيران بكسر الجيم جمع جار
واضافة التذكر اليه من اضافة المصدر لمفعوله بعد حذف الفاعل
والاصل تذكرك جيرانا فحذف الفاعل واقيم المفعول مقامه والمراد

بالجيران المحبوبون لان من لوازم الجوار الذي هو الملاصقة في الاماكن المحبوبة
فالناظم قد اطلق اسم الملزوم واراد اللازم على سبيل المجاز المرسل والبا
للظرفية فهي بمعنى في والمراد بذي سلم موضع بين مكة والمدينة قريب
من قديد وهو محل هناك ايضا والمزج الخلط وقيل اخص منه لانه
لا يكون الا فيما يصير بعد الخلط حقيقة واحدة بخلاف الخلط فانه لا يختص
بذلك وكنى بمزج الدمع بالدم عن كثرة البكا والدمع ما يصعد الى الدماغ
فيسيل من مجاري العيون بسبب شدة الحرارة الغريزية عند حادث
سرور او حزن ويكون باردا للسرور وساخنا للحزن فيكون كالماء
الشديد الحرارة اذا فارق النار القوية لا يبرد الا بعد حين فاذا عظمت
الحرارة قلت الرطوبة فيخرج مع الدمع دم لانه اقرب من غيره لعمومه
الاعضاء وسريانه في سائر العروق فاذا طال البكا جف الدم فيبيض الدم
وتعالج شاب الدمع والجري السيلان بشدة ولذلك عبر الناظم بجرى
دون سال والمقلة شحمة العين التي تجمع السواد والبياض وفيها
الحدقة التي هي السواد الحي الذي في وسط العين وتلك الحدقة فيها
الناظر ولشدة صفائه كانت العين كالمراة اذا استقبلها شخص
راى صورته فيها وافرد الناظم المقلة لان العرب قد يطلقونها ونظائرها
مفردة ويريدون بها المثنى كما قال بعضهم بكت عيني تحف لها بكاها
ويحتمل انه بنى امره على الرجا والخوف فاذا نظر لمقلة الخوف بكى واذا
نظر لمقلة الرجا سر قال الشاعر

ينام باحدى مقلتيه ويتقي ، باخرى المنايا فهو يقظان نائم

ومن الداخلة على المقلة ابتدائية وهي متعلقة بجرى واعترض بان هذه
الجملة حشو لا فائدة فيها لان الدمع لا يكون الا كذلك واجيب بانها
ليست حشوا بل للاحتراز عما يحتمله الكلام لولا هذه الجملة من انه مزج
الدمع بعد انفصاله من العين بالدم وليس مرادا وفي هذا الجواب نظر لان
هذا الاحتمال قائم مع هذه الجملة والاظهر في الجواب انها تاكيد والدم احد

الامشاج

الامشاج الاربعة التي خلق منها الانسان والبا الداخلة عليه للتعدية
بالنظر لقوله مزجت وللمصاحبة بالنظر لقوله جرى فقد تنازعاه كل
منهما والمراد بدم منك كما قدره بعض الشارحين ليخرج ما يحتمله الكلام لولا
هذا التقدير من انه مزج الدمع بعد انفصاله بدم اجنبي والتنوين
في قوله جيران ودمعا ومقلة ودم اما للتعظيم واما للتنويع وفي هذا
البيت براعة استهلال لان فيه اشارة الى ان هذه القصيدة في مدح
النبي صلى الله عليه وسلم حيث ذكر فيه المواضع التي بقرب المدينة الشريفة
وفيه ايضا الجناس الناقص حيث ذكر فيه الدمع والدم فانهما مختلفان
بزيادة العين ونقصانها قوله ام هبت الريح الخ لما كانت الهمزة لا بد
لها من معادل اتى المص بما يعادلها فقال ام هبت الريح الخ فام متصلة
وهي حرف عطف يطلب بها وبالهمزة التعيين وجملة هبت الريح في تاويل
المفرد اي ام هبوب الريح وكذا جملة واومض البرق اي وايماض البرق فكل
من الفعلين مؤول بمصدر وان لم يكن هناك سابك لان وجود
السابك امر اغلبي والا فقد لا يوجد كما في قولهم تسمع بالمعيدي خير
من ان تراه فان الفعل فيه مؤول بمصدر مع عدم وجود السابك
على بعض الاقوال وواو العطف اما على حقيقتها كما هو المتبادر فيكون
الترديد بين الشيء والشيئين او بمعنى او فيكون الترديد بين ثلاثة
اشيا على سبيل منع الخلو فان كلا من تذكر الجيران وهبوب الريح من
جهة كاظمة وايماض البرق من اضم سبب للبكا وموجب للافراط فيه
اما التذكر فلانه يحصل به التحسر على ما مضى من وصل الاحبة ومؤانستهم
ولقد احسن من قال

تذكرت اياما لنا ولياليا ، مضت فجرت من ذكرهن دموع
الا هل لنا يوما من الدهر اوبة ، وهل لي الى ارض الحبيب رجوع

واما هبوب الريح من جهة كاظمة فلان المحب دائما يفكر في محاسن محبوبه
فاذا هبت الريح من جهة موضعه تخيل انها حملت روائحه اليه واما

ايماض البرق من اضم فلان من عادة المحبين ان يرتاحوا للبرق اذا لمع من
جهة ديار الاحبة لكون البرق مما يذكر صفات المحبوبين للطافته وايضا
المحب يتخيل عند لمعان البرق انه يرى ديار المحبوب وهبوب الريح هيجا
والريح جسم لطيف شفاف غير مرئي يهب بمقدار مخصوص في وقت
مخصوص واذا اتت مفردة فالغالب انها للعذاب واذا اتت مجموعة فالغالب
انها للرحمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها
ريحا وذلك لان ريح العذاب واحدة وهي الدبور وعليها خزنة فعتت
عليهم فخرجت من مقدار خاتم فاهلكت عادا ولو خرجت من مقدار انف
ثور لاهلكت الدنيا وافردها الناظم هنا لان الحب وان كان عذبا
لكنه مختلط بعذاب وتلعا بمعنى جذا وكاظمة اسم موضع كما قاله الجوهري
وقال غيره اسم ماء والايماض للمعان الخفيف وان اطلقه بعضهم عن التقييد
بالخفيف والبرق عند اهل السنة اجنحة ملك يسوق بها السحاب
وقيل ضحكه فقد نقل الشافعي في الام عن الثقة عن مجاهد ان الرعد
ملك والبرق اجنحته وروي انه صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله
السحاب فنطقت احسن النطق وضحكت احسن الضحك فالرعد
نطقها والبرق ضحكها اي لمعان النور منها واما قول بعض الشارحين
انه صوت ملك يزجر السحاب الى الجهة التي يريدها الله تعالى ففيه
نظر واما عند اهل الهيئة فهو نار تحدث عند شدة اصطكاك الهواء
بعضه مع بعض ولذلك اكثر ما يكون عند انتقال الزمان من الحرارة الى
البرودة وعكسه والظلما صفة لموصوف محذوف والتقدير في الليلة
الظلما اي ذات الظلمة وانما خص الليلة الظلما بالذكر لان الضوء في الظلمة
اجلى وقد اختلف في الظلمة فقيل امر وجودي يضاد النور قائم بالهواء
وقيل امر عدمي واضم بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة اسم لجبل وقيل اسم لواد
بقرب المدينة الشريفة وفائدة هذين البيتين انهما يكتبان في جام
اي قزاز ويمحيان بماء المطر ويسقى المحو للبهيمة التي صعب تعليمها وتذليلها

فاذا شربت ذلك وانقادت وتعلمت بسرعة وان كان عندك عبد
اعجمي وعسر عليك تعليمه كلام العرب فاكتب هذين البيتين في رق غزال
ثم علقه على عضده الايمن فانه يتكلم بالعربية في اسرع وقت قوله فما
لعينيك الى لما سال الناظم عما ذكر ولم يرد المسؤول عليه جوابا لان من
شان المحبين ان يكتموا الحب الى في اول الامر بل جرت عادتهم بالانكار بالمرة
نزل الناظم المسؤول منزلة المنكر وتعجب من حاله على فرض صدقه في الانكار
فقال فما لعينيك الخ اي اذا صدقت في انكارك الحب فاي شي ثبت لعينيك
اوجبه لهما انك ان قلت لهما اكففا همتا واي شي ثبت لقلبك اوجب
له انك ان قلت له استفق يهم فالفا للافصاح وجعلها بعضهم للعطف
لكن الاول اظهر وما في الموضعين اسم استفهام مبتدا خبره الجار والمجرور
بعده وجملة قوله اكففا في محل نصب معمول القول وكذا جملة قوله استفق
يهم ومعنى اكففا امسكا عن البكا وهمتا بمعنى سالتا ماخوذ من الهميان
وهو السيلان فاصله هميا قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
ثم حذفت الالف لالتقائها ساكنة مع التاء اصلها السكون وان عرض تحركها
لمناسبة الالف وفي كلامه حذف التمييز المحول عن الفاعل اي همتا دمعا
والاصل همى دمعهما فحول الاسناد عن الدمع اليهما واتى به تمييزا لكنه
حذفه الناظم والقلب لحم صنوبري الشكل اي شكله على شكل الصنوبر
لانه دقيق الاسفل غليظ الاعلى كهيئة قمع السكر وقال بعضهم القلب
سر وضعه الله في هذه اللحمة فتسميتها قلبا لحلوله فيها والسين
والتا في استفق زائدتان فمعناه افق مما انت فيه وقوله يهم مضارع
هام يهيم اذا قام به الهيام وهو كالجنون ينشا من العشق وغيره
وفي هذا البيت الطباق لانه جمع فيه بين متقابلين في كل من الشطرين
اما الشطر الاول فجمع فيه بين قوله اكففا وقوله همتا واما الشطر
الثاني فجمع فيه بين قوله استفق وقوله يهم قوله ايحسب الصب
الى لما سال المخاطب السؤال المسكت والزمه الالزام المبهت رجع الى

تغليطه في الانكار فقال اتحسب لصب اي والهمزة للاستفهام الانكاري وتحسب
بكسر السين وفتحها اي تظن وكان مقتضي ما سبق ان يعبر المص بصيغة
الخطاب لكنه التفت الي الغيبة لما جرت به عادة الادبا من تغيير كلامهم
من اسلوب لاسلوب اخر تكلما وخطابا وغيبة تنشيطا للسامع والصب
العاشق من قولهم صب الما لانه لما كان كثير البكا فكانه يصب الدمع
وقال بعضهم من الصبابة وهي رقة العشق وحرارته وجملة ان واسمها
وخبرها سدت مسد مفعولي تحسب والحب عرفه بعضهم بانه صفا
الحال بين المحب والمحبوب وقوله منكتم اي مستتر وما اسم موصول بمعني
الذي في محل نصب علي انه بدل من الحب او صفة له وصدر الصلة محذوف
اي الحب الذي هو بين اي كذا قال بعض الشارحين وهو اظهر من جعل
بعضهم ما زائدة وجعله بين ظرفا لقوله منكتم وكل من منسجم ومضطرم
صفة لموصوف محذوف والتقدير بين دمع منسجم منه وقلب مضطرم
والمنسجم السائل من قولهم انسجم الما سال والمضطرم المشتعل من قولهم اضطرمت
النار اشتعلت والمعني لا يظن العاشق ان الحب مستتر عن الناس الذي
هو بين دمع سائل وقلب مشتعل من نار الحب وكل منهما من اثار الحب مع كونهما
ظاهرين وح فانكار الحب غلط قوله لولا الهوي اي لما غلط المص المسئول في انكاره
الحب استدل عليه بادلة فقال لولا الهوي اي والهوي مصدر هوي بكسر
الواو اذا احب فهو بمعني الحب وهو مبتدا والخبر محذوف اي موجود ولولا
حرف يدل علي امتناع الجواب لوجود الشرط فالمعني امتنع عدم اراقتك دمعا
علي طلل لوجود الهوي وقوله لم ترق دمعا اي لم تصبه يقال اراق الما
اي صبه ويقال هراق ايض بمعناه وكان مقتضي قوله اتحسب اي ان يقول
لم يرق بيا الغيبة لكنه التفت الي الخطاب لما تقدم والطلل ما بقي من
اثار الدار مرتفعا فان لم يكن مرتفعا بان كان ملتصقا بالارض كان رسما
وعلي الداخلة عليه للتعليل اي لاجل طلل هذا ان لم يقدر وقوفه علي الطلل
كما هو المتبادر والا كانت بمعني في وقوله ولا ارقت اي عطف علي قوله لم ترق اي

وارقت بكسر الرا بمعني سهرت والبان شجر طيب الريح ويتخذ منه دهن يعرف
بدهن البان والعلم يطلق علي معان منها الجبل والرمح اي ولا سهرت لذكر
البان والعلم الكائنين بمحل المحبوب وعلي هذا فالبان والعلم باقيان علي
معناهما ويحتمل انه شبه المحبوب بهما في طيب الرائحة وحسن الهيئة
وطول القامة وانما اورثه ذكرهما السهر لان النوم انما يكون من الرطوبة
الصاعدة من المعدة الي الدماغ والمحب تكثر حرارته فتنتفي عنه الرطوبة
وح فلا ينام وتلك الرطوبة تنشا غالبا عن كثرة الطعام والشراب
والمحب يلهيه حبه عن اكله وشرابه فتنتفي رطوبته وتتضاعف حرارته
لا سيما عند ذكر معاهد الاحباب او ما هو شبيه بالاحباب وفي هذا
البيت شبه الاشتقاق حيث جمع فيه بين ترق وارقت قوله ولا اعارتك
اي لما ذكر المص دليلين اردفهما بدليل ثالث علي ما في بعض النسخ الذي شرح
عليها بعض الشارحين لكنه لم يوجد ذلك في كثير من النسخ وهو معطوف
علي قوله لم ترق اي ومعني اعارتك اعطتك علي سبيل العارية وقوله
لوني عبرة وضنا معمول لاعارتك وفاعله ذكري اي والمراد باللونين
هنا النوعان والعبرة بفتح العين الدموع والضنا المرض فانسجام
الدموع علي الخد بمثابة الدر المعلق عليه وذلك لون العبرة ورقة جسمه
وصفرة لونه كثوب بديع الرقة والصبغ وذلك لون الضنا وفي الكلام
استعارة بالكناية وتخييل لانه شبه لوني العبرة والضنا بملابسين
بجامع الزينة في كل اما في المشبه به فظاهر واما في المشبه فلان اثار
الحب زينة عند المحب فيتزين بهما كما يتزين باللباس تشبيها مضمرا
في النفس وطوي لفظ المشبه به ورمز اليه بشي من لوازمه ملايماته
وهو الاعارة وقوله ذكري الخيام وذكري ساكن الخيم اي تذكر الخيام
وتذكر ساكن الخيم فذكري فيهما بمعني التذكر وكل من الخيام والخيم جمع
خيمة وهي بيت تتخذ من عيدان الشجر وحذفت النون من ساكنين
للاضافة ثم حذفت اليا لالتقا الساكنين قوله فكيف تنكر حبا ما اقام

المعم على المسئول الادلة على حبه مع صحة نتيجتها انكر عليه دوامه بعد ذلك على الانكار فقال فكيف تنكر اي فالفا للافصاح لانها افصحت عن شرط محذوف والتقدير اذا قامت عليك الادلة فكيف تنكر الخ وكيف حال مقدمة مضمنة معنى الاستفهام على وجه الانكار ومعنى تنكر تجحد والجحد هو النفي بعد العلم بخلافه قبله وقوله حبا معمول لتنكر وبعد ظرف له وما يحتمل ان تكون مصدرية وهو الظاهر فالفعل بعدها وهو شهدت مؤول بمصدر والضمير في به عائد على الحب والتقدير على هذا بعد شهادة عدول الدمع والسقم به عليك ويحتمل ان تكون اسم موصول بمعنى الذي وجملة شهدت صلة والضمير في به عائد على ما والتقدير على هذا بعد الذي شهدت به عليك اي وفي شهدت استعارة تصريحية تبعية لانه شبه الدلالة الواضحة بمعنى الشهادة بجامع الوضوح في كل واستعار الشهادة للدلالة واشتق من الشهادة بمعنى الدلالة شهدت بمعنى دلت ولفظ العدول ترشيح للاستعارة والعدول جمع عدل والدمع هو الما الجاري من العين والسقم بفتحتين المرض ويقال فيه سقم بضم فسكون لكن في غير النظم كما قاله شيخ الاسلام واضافة عدول للدمع والسقم للبيان او من اضافة الصفة للموصوف واستعمال الجمع في الاثنين كما هنا شائع واعترض هذا الجمع بان العدول جمع مصدر ولا يثنى ولا يجمع واجيب بان محل قولهم ان المصدر لا يثنى ولا يجمع اذا اعتبرت مصدريته وهنا قد اعتبر ما نقل اليه وانما ذكر كونهم عدولا للاشارة الى انه لا يمكن المخاطب رد شهادتهم قوله واثبت الوجد اي وبعد ما اثبت الوجد الخ فهو معطوف على شهدت والوجد هو الحزن بسبب الحب وقيل نيران اشواق تنشرها رياح المحبة عند سماع ذكر المحبوب واسناد الاثبات الى الوجد مجاز عقلي من قبيل الاسناد الى السبب كما في قولك سرتني رويتك وقوله خطي عبرة بفتح العين كما تقدم اي خطين من الدموع وقوله وضنا عطف على خطي عبرة لكن على تقدير مضاف اي واثر ضنا وقوله مثل البهار الخ صفة لكل من خطي العبرة والضنا

لكن

لكن على اللف والنشر المشوش لان البهار بفتح البا الموحدة ورد اصفر واثر الضنا صفرة الوجه فاثر الضنا مثل البهار في الصفرة والعنم بفتح العين والنون شجر له اغصان حمر وقيل ورد احمر والخطان من العبرة احمران لامتزاج الدمع بالدم فالخطات من العبرة مثل العنم في الحمرة وقوله على خديك متعلق باثبت فتقدير البيت واثبت الوجد على خديك خطي عبرة مثل العنم واثر ضنا مثل البهار والمعنى وكيف تنكر حبا بعد ما اثبت الوجد على خديك علامتين ظاهرتين على الحب فكل من راك يعرف الحب في وجهك وفائدة الابيات الخمسة التي اولها امن تذكر ان الرجل اذا اتهم زوجته او بنته او عبيده كتب هذه الابيات في ورقة من ورق الاترج ووضعها على يد المتهوم النائم وهو نائم ويجعل اذنه على فمه فانه ينطق بجميع ما فعله في غيبته خيرا او شرا وكذلك اذا اسرق له شي واتهم احدا او شك في احد فليكتب هذه الابيات في جلد ضفدع مدبوغ ويأخذ لسان الضفدع ويجعله في الجلد المذكور ويعلق ذلك الجلد في عنق المتهوم فانه يقر في ساعته لدهشته قوله نعم سرى الخ لما اتضح حال المسئول مما هو عليه من الحب ولم يبق له سبيل الى الانكار اقر واعترف بذلك حيث قال نعم اي هكذا قال بعض الشارحين وعليه فالناظم لم يرجع من التجريد الى التكلم وقال بعض لما انكشف كون المسئول محبا وكان هو المتكلم في المعنى رجع من التجريد الى التكلم واعترف بالحب حيث قال نعم اي والاول اقرب ونعم حرف ايجاب لما سبق فكانه قال صدقت ايها السائل فيما نسبتني اليه من الحب وان سبب مزج الدمع الجاري من المقلة بالدم تذكر المحبوبين كما هو الشق الاول من السؤال السابق فقال له السائل وما سبب تذكرك لهم فقال سرى الخ وصلة سرى محذوفة والتقدير سرى لي اي سار الي ليلا لان السري هو السير ليلا وقوله طيف من اهوى اي خيال من احب فالطيف خيال المحبوب واهوى مضارع هوي بكسر الواو بمعنى احب بخلاف هوى بفتح الواو فانه بمعنى سقط وسبب ذلك الخيال ان النفس اذا ولعت بشي حصلت صورته في القوة المخيلة

وترى خياله في المنام كثيرا وقوله فارقني أي اسهرني لانه لما تذكر الحب
ثارت عليه الحرارة وانتفت عنه الرطوبة فارتفع عنه النوم كما تقدم
وقوله والحب يعترض اللذات بالالم اي يدفعها بالالم يقال اعترضه بالسهم
اذا دفعه به فالالم هنا بمنزلة السهم واللذات بمنزلة الشخص المرمي ويحتمل
ان المراد ان الحب يجعل الالم عرضة في اللذات فيصير الالم كالخشبة
المعترضة في النهر ويحتمل ايضا ان المعنى ان الحب يغيب اللذات بالالم فانه
يقال عرض الشيء اذا غيبه والمراد باللذات ما كان فيه من النوم والتسلي
عن المحبوبين وبالالم ما ينشا عن الحب من شدة الوجد وحاصل
المعنى انه صدقه فيما نسبه اليه من الحب بقوله نعم ثم ذكر له سبب
تذكره للمحبوبين بقوله سرى طيف من اهوى وذكر انه اسهره بقوله
فارقني وذكر انه بعد ان كان في لذة صار في الم ولذلك قال والحب يعترض
اللذات بالالم ولبعضهم في هذا المعنى

وزارني طيف من اهوى على حذر ۔ من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولي به فرحا ۔ وكاد يهتك سر الحب بي شغفا

وفائدة هذا البيت ان من كرره بعد صلاة العشا حتى يغلب عليه
النوم فانه يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم في منامه ان شاء الله تعالى
قوله يا لائمي الخ لما اقر المسؤول بالحب لامه السائل فيه فرجع المسؤول
على السائل يوبخه في لومه له فيه فقال يا لائمي الخ وهذا الكلام مبني
على بقاء التجريد واما على ان الناظم رجع عن التجريد الى التكلم فيكون الملوم قد
استشعر لائما عليه لان المحب اذا اقر بالحب لام عليه غيره فوبخ اللائم
على لومه عليه وقوله في الهوى العذري بالذال المعجمة اي الهوى المنسوب
الى بني عذرة بضم العين وهي قبيلة مشهورة باليمن يودي بهم العشق
الى الموت لصدقهم في الحب ورقة قلوبهم والمقصود من النسبة التشبيه
فالمراد ان هواه مشبه لهوى بني عذرة وقيل الهوى العذري هو الذي
من شانه ان يقبل عذر صاحبه عند كل احد لكونه مفرطا وقوله معذرة

اي

اي اعتذر معذرة او اقدم معذرة فهو بالنصب على انه مفعول لفعل محذوف
ويصح قراته بالرفع على انه مبتدا خبره قوله مني اليك اي صادرة مني اليك
او على انه خبر مبتدا محذوف والتقدير هذه معذرة وتكون الاشارة راجعة
لقوله سابقا سرى طيف الخ فالمعذرة على هذا خصوص ذلك بخلافه على ما قبله
فانه يحتمل ان تكون هي ذلك وان تكون قوله الاتي لا سري بمستتر عن الوشاة
ولا دائي بمنحسم وان تكون معذرة معروفة في الخارج وهي ان يقول المحب للعاذل
اني محب والمحب لا يلام سيما من كانت محبته عذرية وقوله ولو انصفت لم تلم
اي لان الحب ليس اختياريا حتى يلام عليه بل هو قهري ولا يلام الا على الامر الاختياري
كما قال القائل شعر

وعيب الفتى فيما اتى باختياره ۔ ولا عيب فيما كان خلقا مركبا

لكن كون الحب ليس اختياريا بل قهري بعد تحكمه والا فمبدؤه اختياري
او لان اللوم على الهوى لا يكون الا ممن ذاقه والمخاطب لم يذقه ولذلك قال
بعض الصوفية لا ينبغي للشخص ان يتكلم على حال الا اذا ذاقها والى هذا المعنى
اشار ابن الفارض بقوله شعر

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى ۔ واذا عشقت فبعد ذلك عنف

وفائدة هذا البيت وما بعده انك اذا رايت منكرا ولم تقدر على ازالته
فاكتبهما في ورقة بزعفران ومسك وماء ورد ويكون تفصيل الورقة دائرة
ثم اجعلها بين عينيك تحت العمامة فتقوى على ازالته باذن الله تعالى
واذا اردت ان تقهر نفسك على اقامة شعائر الدين فواظب على قراءتهما
خلف كل صلاة قوله عدتك حالي الخ لما ابدى له المعذرة في الهوى ووبخه
في اللوم عليه فيه فلم يرجع عن اللوم استعطفه بالدعاء له فقال عدتك
حالي اي جاوزتك حالي كما يقول الشخص لغيره لا اراك الله حالي وعلى
هذا فالجملة دعائية ويحتمل انها استئنافية بتقدير همزة الاستفهام
وعليه فالمعنى اجاوزتك حالي فلم تعذرني ويحتمل ايضا انها خبرية وعليه
فالمراد الاخبار بانه جاوزته حاله ولم يصب بمصيبته حتى يعلم قدر

حتى يعلم قدر ما هو فيه ولا يلومه ولو اصيبت لعلم قدر ما هو فيه ولم
يلمه هذا كله ان فسر عدتك بمعنى جاوزتك كما تعرف وان فسر بمعنى تعدت
اليك اي وصلت اليك كما قاله بعض الشارحين كان القصد الدعا عليه
لا له او للاستفهام عن ذلك بتقدير همزة الاستفهام والمعنى عليه او وصلت
اليك حالي حتى تلومني وقوله لا سري بمستتر عن الوشاة مستانف استئنافا
بيانيا لانه واقع في جواب سؤال مقدر فكان اللائم قال له وما حالك التي
استعظمتها فاجابه بذلك والسر ما يكتمه الشخص عن غيره والوشاة جمع
واش وهو الذي ينشي الحديث بين المحب والمحبوب اي يزينه ويزخرفه لاجل
الفساد بينهما ومن المعلوم ان الوشاة اعداء فاطلاعهم على سره سيئة
وقوله ولا دائي بمنحسم اي ولا دائي الحاصل بسبب الحب بمنقطع بوصل
المحبوب ومؤانسته كما هو شان المحب فانه اذا اشتد عليه الحال ووصله
المحبوب وانسه انقطع داؤه لكن هذا امر اغلبي والا فهناك من يزيد عليه
الحال بوصل المحبوب ومؤانسته قوله محضتني النصح اي لما لم يفد معه الا
فلم يرجع عن اللوم اعترف له بانه اخلص في النصح من باب التسليم الجدلي
ليستريح منه فقال محضتني النصح اي اخلصت لي النصح عن الاغراض كالالتفات
الى المحبوب فاذا كان للائم التفات الى المحبوب لم يخلص النصح عن الاغراض
بل له فيه غرض وهو اختصاصه بالمحبوب بخلاف ما اذا كان ليس له التفات
الى المحبوب فانه قد اخلص النصح وما هنا من هذا القبيل على التسليم الجدلي
وقوله لكن لست اسمعه استدراك على قوله محضتني النصح والمنفي انما هو
سماع القبول والا فقد سمعه بل قد تلذذ به وقوله ان المحب الخ تعليل
لقوله لكن لست اسمعه فكانه قال انما لم اسمعه لان المحب الخ وفي الحديث
حبك للشيء يعمي ويصم اي يعميك عن رؤية عيوبه ويصمك عن سماعها
وقوله عن العذال على تقدير مضاف اي عن نصحهم والعذال جمع عاذل
وهو اللائم في الحب وقوله في صمم لا يخفى ما فيه من المبالغة لانه بالغ
في الصمم حتى كانه محيط بالمحب وجعله ظرفا له والصمم ضعف في قوة

السمع

السمع فوق الوقر ودون الطرش ودون الصمخ ايضا كما علم بالاولى ولذا
قال الثعالبي يقال في اذنه وقر فان زاد فهو صمم فان زاد فهو طرش فان زاد
حتى لا يسمع الرعد فهو صمخ وانما خص المص الصمم بالذكر دون غيره وان كان
كل من الطرش والصمخ اعلى منه لانه هو الذي تستقيم عليه القافية قوله اني اتهمت
اي لما اعترف له على طريق التسليم الجدلي بانه محضه النصح فلم يرجع عن اللوم
اتهمه في عذله فكان لسائل قال له كيف تتهمني في العذل فقال له اني اتهمت
اي فاذا اتهمت نصح الشيب في عذله علي في الهوى والحال ان الشيب ابعد عن
التهم في النصح فكيف بالعاذل الذي ليس ابعد عن التهم في النصح بل من شانه
ان يتهم فيه والاضافة في قوله نصيح الشيب للبيان اي نصيحا هو الشيب
او من اضافة الصفة للموصوف اي شيبا ناصحا وانما كان الشيب ناصحا
لانه يدل على قرب الاجل وحصول الموت الموجب لترك دواعي الشباب
واشتغال العبد بما يقربه لمولاه زلفى وانما دل على ذلك لانه ليس بعد
بياض الزرع الا حصاده فهو ناصح بلسان الحال وقد قيل في قوله تعالى
وجاءكم النذير انه الشيب وقوله في عذل متعلق باتهمت اي اتهمته في لومه
علي في الهوى ودواعي الشباب وهو بفتح الذال المعجمة لغة في العذل بسكونها
وقوله والشيب ابعد في نصح عن التهم اي والحال ان الشيب ابعد عن التهم
في نصح فالواو للحال وفائدة هذين البيتين انك اذا احببت شخصا
في الحلال وتستحي منه ومن الناس ان تكلمه فاكتبهما في ساعة الزهرة في صحفة
من نحاس وامح تلك الصحفة بماء المطر واشربها فانك تقوى على المحبوب
وتجتمع به ولا تخشى من احد ابدا وتفشي اليه سرك وتبلغ منه مقصودك
ان شاء الله تعالى قوله فان امارتي الخ هذا تعليل للبيت قبله فكانه قال انما
اتهمت نصيح الشيب في العذل ولم اقبل نصحه لان امارتي الخ واستشكل قوله
امارتي بان فيه اتحاد الامر والمامور لان نفس الشخص هي هو واجيب بجوابين احدهما
ان النفس باعتبار تعلقها بالمخالفة امرة وباعتبار تعلقها بالصواب
مامورة فهما مختلفان بالاعتبار وثانيهما ان الامر النفس والمامور البدن

فالنفس مستولية بتسلطها على البدن فتصرفه في شهواتها والامارة من
انواع النفس وهي التي تامر بالمخالفة فلا يلوح لها طمع الا فعلته ولا برزت
لها شهوة الا قضتها فلم تسلك سبيل الرشاد ولم تضئ بنور السداد
وقد ذكرها الله في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة الاية وقوله
بالسوء متعلق بامارتي والسوء القبيح وقوله ما اتعظت خيرا اي ما قبلت
الوعظ وقوله من جهلها اي من اجل جهلها فهو تعليل لقوله ما اتعظت وانما وبخ
نفسه على عدم الاتعاظ بسبب جهلها لانه قادر على دفع الجهل بتحصيل
اسباب العلم وقوله بنذير متعلق باتعظت او بجهلها ونذير اما بمعنى
الانذار فيكون مصدرا وعلى هذا فالاضافة في قوله نذير الشيب والهرم
من اضافة المصدر لفاعله او بمعنى المنذر فيكون اسم فاعل وعلى هذا
فالاضافة في قوله نذير الشيب والهرم من اضافة الصفة للموصوف
او للبيان وكان عليه ان يقول نذيري الشيب والهرم الا ان يقال الاضافة
للجنس فيصدق النذير بالمتعدد او انه حذف من الثاني لدلالة الاول
والاصل بنذير الشيب ونذير الهرم وهذا البيت والاثنان بعده
خاصيتها ان من كانت نفسه غالبة عليه وامتنعت من التوبة وعجز
عن مخالفة النفس فليكتب الابيات الثلاثة يوم الجمعة بعد الفراغ من صلاتها
ويمحوها بماء الورد ويشربها فاذا شربها استمر جالسا مستقبل القبلة
حتى يصلي العصر والمغرب ويذكر الله تعالى ويكرر هذه الابيات في بعض
الاوقات ايضا فانه لا يفارق هذا المجلس الا وقد تادبت نفسه وحسن
حالها ان شاء الله ويوفقه الله للتوبة قوله ولا اعدت من الفعل الجميل عطف
على قوله ما اتعظت من قبيل عطف الخاص على العام لان الاتعاظ يكون
بالاتيان بالاعمال الحسنة والاجتناب عن الاعمال القبيحة واما اعداد القرى
فلا يكون الا بالاول فقط والاعداد التهيئة يقال اعد واستعد بمعنى
هيأ وقوله من الفعل الجميل اي من الاعمال الصالحة وهو بيان مقدم لقوله
قرى ضيف مشوب بتبعيض وقرى الضيف بكسر القاف اكرامه وفيه

ان النفس لامارة بالسوء ومنها اللوامة وهي التي تحتج بالسوء على صاحبها كثيرا عند الوقوع في المعصية التابعة للهوى ومنها المطمئنة وهي التي اطمأنت للايمان وللتصديق بوعد الله فهي دائما موفقة للطاعة مصدقة بقضاء الله تعالى وقد ذكرها الله في قوله

استعارة

استعارة مصرحة مرشحة لانه شبه الشيب بالضيف بجامع الطرو في كل
فان سواد الشعر كان ملازما للانسان فلما تبدل بالشيب كان كالضيف
في طروه على الشخص بعد ان لم يكن واستعار اسم المشبه به للمشبه وذكر القرى
ترشيحا للاستعارة ولما كان الشيب نذيرا بانقضاء العمر صار بلسان حاله
طالبا للاعمال الصالحة التي هي زاد الاخرة كما يطلب الضيف القرى تصريحا
او تلويحا وقوله الم بتشديد الميم بمعنى نزل وقوله براسي اي في راسي
فالباء بمعنى في وقوله غير محتشم اي غير مستحي وهو حال من الضمير الفاعل
بالم وانما كان غير محتشم لان من اداب الضيف ان لا يكثر الاقامة عند
من اضافه فمن اكثرها عنده كان غير محتشم والشيب اذا نزل لا يرحل
الا بالموت فهو غير محتشم فعلى العاقل ان يستعد بالاعمال الصالحة لضيافته
فان اخر الاستعداد الى نزوله فقد لا يتمكن من شيء من الاعمال لسرعة الرحيل
وضيق الوقت قوله لو كنت اعلم اني لما بين ان نصح الشيب لا ينبغي ان يهمل
واعتذر عن عدم قبوله بالنفس الامارة ورأى من سوء العتاب وتقبيح
الفعال من الناس ما لم يكن رآه قال لو كنت اعلم اني والعلم والمعرفة بمعنى
واحد على الصحيح وقوله اني ما اوقره اي اني ما اعظمه بفعل الجميل وترك
القبيح استحياء منه وقوله كتمت سرا اي اخفيته والمراد بالسر الشيب
الذي يظهر اولا وانما سمي سرا لانه قبل ظهوره يكون خفيا كحديث النفس
الذي لم يظهر وقوله بدا لي اي يظهر لي وقوله منه اي من الشيب وقوله بالكتم
متعلق بكتمت والكتم بفتح التاء نبت يخلط بالحنا ويخضب به الشعر
فيبقى لونه كما في القاموس وقد قيل شيئان عجيبان هما ابرد من يخ شيخ
يتصبى وصبي يتمشيخ ويخ اسم لبئر شديد البرودة كذا نقل عن بعض
الاشياخ وقال بعض اهل العلم يخ اسم لدود يكون في الثلج الذي هو
شديد البرودة وذلك الدود اشد برودة من الثلج وانما قيد
بقوله لي لانه اذا نزل الشيب بالشخص ظهر له اولا في الغالب لاهتمامه
بشان نفسه ويحتمل انه من البيان بعد الاجمال على حد رب اشرح لي

صدري ويسر لي امري وفي هذا البيت تنبيه علي توقير الشيب وقد سماه
الله وقارا فقد روي ان اول من راي الشيب ابراهيم علي نبينا وعليه
الصلاة والسلام فقال ما هذا يارب فقال الله تعالي وقارا يا ابراهيم
فقال يارب زدني وقارا فاصبح وقد عمه الشيب وفي الحديث القدسي
الشيب نوري **قوله** من لي الخ لما لم تتعظ النفس بواعظ الشيب استفهم
علي سبيل الاستعطاف عمن يتكفل له برد جماحها بالمواعظ السنية والاسرار
الربانية فقال من لي الخ اي من يتكفل لي الخ وقوله برد جماح من غوايتها
اي بصرف قوة وغلبة ناشئة من ضلالها فالجماح بمعني القوة والغلبة
والمراد برده صرفه وغوايتها بفتح الغين المعجمة بمعني ضلالها والجار والمجرور
متعلق بمحذوف صفة للجماح اي جماح ناشئ من غوايتها وقوله كما يرد جماح
الخيل باللجم اي ردا مثل رد جماح الخيل باللجم في القوة والعنف حيث لم ينفع
واعظ الشيب فالكاف بمعني مثل وما مصدرية واللجم جمع لجام ككتب
جمع كتاب وفي هذا البيت اشارة الي ان السلوك لا يتم الا بشيخ عارف لان
النفس ربما تتحسست ام ايكون الهلاك فيه فالشيخ العارف كالطبيب
الماهر وفائدة هذا البيت والاثنان بعده ان من اكثر تلاوتها عند شروعه
في ازالة منكر مفتتحا بتلاوتها عشر مرات فانه يري الهيبة والقبول بالكمال
باذن الله تعالي **قوله** فلا ترم بالمعاصي الخ لما استفهم عن من يرد جماح نفسه
ردا عنيفا استشعر شخصا قال له لاحاجة الي ردها لانك اذا اعطيتها ما تتمناه
من المعاصي انكسرت شهوتها فرد عليه ذلك بقوله فلا ترم بالمعاصي الخ اي
لا ترجو ولا تتوقع بتمكينها مما تتمناه من المعاصي دفع شهوتها لانها اذا الفت
المعاصي قويت شهوتها وقد استدل علي ذلك بقوله ان الطعام يقوي
شهوة النهم الخ اي ان الطعام يزيد في شهوة النهم بتشديد النون وكسر الهاء الذي
هو شديد الشهوة الي الطعام فتمكينه منه يزيد في شهوته اليه وكذلك
النفس تمكينها من المعاصي يزيد في شهوتها اليها واعترض بان النهم انما
تقوي شهوته الي الطعام اذا لم يشبع منه واما اذا شبع منه فقد اخذ

حاجته

حاجته واجيب بان المعدة تنفتح ابدا لما يلقي فيها من الطعام الا لمانع وتبقي
الجاذبة لا تزال وان امتلات لا سيما معدة النهم **قوله** والنفس كالطفل الخ شبه
النفس بالطفل في عدم الملل والسآمة بالاستمرار علي المالوفات فكما ان
الطفل ان تركته علي ما الفه من الرضاع دام علي حبه وان منعته عنه امتنع
كما ذكره بقوله ان تهمله الخ كذلك النفس ان تركتها علي ما الفته من المعاصي دامت علي
حبه وان منعتها عنه امتنعت وقوله ان تهمله اي تتركه علي ما الفه من
الرضاع وقوله شب علي حب الرضاع اي كبر حال كونه مشتملا علي حب الرضاع
وقوله وان تفطمه ينفطم اي وان تفصله وتمنعه عن الرضاع انفصل وامتنع
عنه وصار غير طالب له قال في المصباح فطمت المراة الرضيع فطما من باب
ضرب فصلته عن الرضاع فهي فاطمة والرضيع فطيم والجمع فطم بضمتين مثل بريد
وبرد اه وعلم من ذلك ان تفطمه بكسر الطاء **واعلم** ان النفس لطيفة ربانية
وهي الروح قبل تعلقها بالاجسام وقد خلق الله الارواح قبل الاجسام
بالفي عام فكانت ح في جوار الحق وقربه تستفيض من حضرته بلا واسطة
فلما امرها الحق ان تتعلق بالاجسام عرفت الغير فحجبت عن حضرة الحق
بسبب بعدها عنه تعالي فلذلك احتاجت الي من يذكر قال تعالي
وذكر فان الذكري تنفع المومنين فهي قبل تعلقها بالجسد تسمي روحا وبعد
تعلقها به تسمي نفسا فالاختلاف بينهما اعتباري والطفل بكسر
الطاء المهملة الصغير ذكرا كان او انثي **قوله** فاصرف هواها الخ اي اذا علمت
ذلك فاصرف هواها اي فالفاء الفصيحة وانما لم يقل فاصرف النفس عن
هواها كما هو مقتضي الظاهر لانه نظر لكونها تابعة لهواها لا تخالفه
ابدا فلا يمكن صرفها عن هواها وانما الممكن صرف هواها بمعني عدم اتباعه
فهي لا تخلو عن هوي ابدا لكن الشخص لا يتبعه وقوله وحاذر ان تولية اي
واحذر اي تعطي هواها الولاية والامارة عليك لانه داع الي الضلالة غير
صالح للامارة وانما عبر المصنف بحاذر دون احذر تنبيها علي ان النفس
تراقب غفلة الشخص لتنفع في هواها فهي تحاذره كما يحاذرها فالمحاذرة

من الجانبين وقد علل ذلك بقوله لان الهوى اي فهو في قوة قوله لانه جائر ظالم
وقوله ما تولى ضبطه شيخ الاسلام بضم التا والواو وكسر اللام مشددة على انه
مبني للمفعول والشائع على الالسنة قراته بفتحات على انه مبني للفاعل
وكل صحيح فالمعنى على الاول ما ولاه الشخص وعلى الثاني ما صار واليا
وما شرطية وقوله يصم بضم اليا وسكون الصاد من اصميت الصيد
اذا رميته فقتلته وقوله او يصم بفتح اليا وكسر الصاد من وصمه اذا عابه
فالمعنى ان الهوى ان ولاه الشخص يقتله او يعيبه وفي هذا الكلام استعارة
بالكناية وتخييل لانه شبه هوى النفس بانسان طالب للولاية والامارة
تشبيها مضمرا في النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشي من لوازمه
وهو منعه من الولاية والامارة حيث قال فاصرف هواها وحاذر ان
توليه ورشحها بذكر انه جائر ظالم لانه ان تولى قتل او عاب حيث قال ان
الهوى ما تولى يصم او يصم فهي مرشحة لانها قرنت بما يلايم المستعار منه
ولما كان الهوى سببا للهلاك اجمع على ذمه العارفون ووردت الاحاديث
لانه ينتج من الاخلاق قبايحها ويظهر من الافعال فضايحها ويجعل ستر
المروة مهتوكا ومدخل الشر مسلوكا وقال ابن عباس الهوى اله يعبد من دون
الله وتلى قوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه الاية وقال الشعبي انما
سمي هوى لانه يهوي بصاحبه الى النار وبالجملة فالهوى اصل كل بلية
والخلاص منه عسر جدا الا بتوفيق من الله تعالى قوله وراعها وهي في
لما كان ظاهر كلامه ان هوى النفس يصرف حتى عن الطاعة شرح الحال بقوله
وراعها وهي اي لاحظها والحال انها في الاعمال الصالحة سائمة كالبهيمة
السائمة في الكلا فالواو للحال وال في الاعمال للعهد الذكري والمعهود الاعمال
الصالحة وهي اعم من ان تكون واجبة او مندوبة وفي سائمة استعارة
تصريحية تبعية لانه شبه اخذ النفس في الاعمال واشتغالها بها
بسوم البهيمة في الكلا بجامع معرفة عدم الصلاح في كل واستعار السوم
للاخذ والاشتغال واشتق منه سائمة بمعنى اخذة ومشتغلة وانما

امر

امر بملاحظتها وهي مشتغلة بالطاعة لانه قد يكون لها حظ كريا وحب
محمدة وشهرة ولذلك قال وان هي استحلت المرعى فلا تسم بضم التا وكسر السين
اي وان وجدت المرعى حلوا فلا تسمها فيه لانها لا تميل الى الطاعة لذاتها
بل للغرض فيها فتنقلب الطاعة معصية بل قد تكون اعظم مفسدة من
المعصية كما يشير الى ذلك قول صاحب الحكم رب معصية اورثت ذلا وانكسارا
خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا وفي بعض الاثار اوحى الله الى داود عليه
السلام يا داود قل للعاصين المخبتين ابشروا وقل للعابدين المعجبين اخسئوا
ومن المعلوم ان اداة الشرط وهي ان هنا من خواص الفعل فقوله وان هي اصله
وان استحلت حذف الفعل فانفصل الضمير وقوله استحلت مفسر للفعل المحذوف
على حد قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك وفي قوله فلا تسم استعارة
بالكناية وتخييل لانه شبه النفس بالبهيمة بجامع عدم معرفة الصلاح
في كل تشبيها مضمرا في النفس وطوى لفظ المشبه به وذكر المرعى ترشيح ورمز
اليه بشي من لوازمه وهو الاسامة قوله كم حسنت اي هذا البيت استشهاد
على البيت قبله وكم خبرية بمعنى كثيرا ومميزها محذوف اي عدت لذة قاتلة
حسنت للشخص رجلا كان او امراة فلذة مفعول لحسنت وقاتلة صفة لها
وهذا الصنيع اولى من جعل لذة تمييز الكم وجعل مفعول حسنت محذوفا
وان جرى عليه بعض الشارحين وقد بني وجه كون اللذة قاتلة بقوله من
حيث لم يدر ان السم في الدسم اي من جهة وتلك الجهة هي كونه لم يعلم ان السم
بتثليث اوله مدسوس في الدسم الذي هو الدهن وخص السم بالذكر لانه
قاتل وخص الدسم بالذكر لانه يعلو الاشيا فيستر ما تحته والمراد بالسم هنا
حظ النفس والمراد بالدسم هنا الطاعة ففي كلامه استعارتان مصرحتان
اما الاولى فلانه شبه حظ النفس بالسم بجامع الضرر في كل واستعار اسم
المشبه به للمشبه واما الثانية فلانه شبه صورة الطاعة بالدسم
بجامع ان كلا ساتر لغيره واستعار اسم المشبه به للمشبه والحاصل
ان النفس لها حظ في الطاعة كما ان لها حظا في المعصية باطن خفي وفائدة

هذه الابيات الثلاثة التي اولها فاصرف هواها ان من واظب على قراتها خلف كل
صلاة مكتوبة عشرين مرة استقام امره على الكتاب والسنة وجعله الله
امنا من الاهوال والبدع قوله واخش الدسائس اي خف المكائد التي تعرض
النفس في الجوع والشبع فالدسائس من الجوع كالحدة وسوء الخلق والدسائس
من الشبع كالكسل عن الصلاة والكلام في الجوع والشبع المفرطين لان المذموم منهما
ليس الا المفرط واما المعتدل الذي بين الافراط والتفريط فممدوح كما يشير
لذلك قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا هذا على كون الجوع والشبع على
ظاهرهما ويحتمل ان المص كنى بالجوع عن قلة العبادة وبالشبع عن كثرتها لان
قلة العبادة تؤول الى الجوع في الاخرة وكثرة العبادة تؤول الى الشبع
في الاخرة فالدسائس من الجوع بمعنى قلة العبادة كالميل الى الراحة وترك
العبادة بالكلية والدسائس من الشبع بمعنى كثرة العبادة كحب الشهرة
والمحمدة وهو مفسدة عظيمة لانه قد يكون قاصدا بالعبادة غير وجه
الله تعالى ولما كان قد يقع في بادي الراي ان الجوع لا دسائس فيه لان
العرب والحكما تمدح بقلة الاكل وتذم بكثرته وح فلا وجه للتحذير من مكايد
الجوع دفع المص ذلك بقوله فرب مخمصة شر من التخم فكانه قال لا تستبعد
ذلك اذ رب مجاعة مفرطة شر من كثرة الاكل باعتبار الافات المترتبة
عليهما فالعبادة قد لا تحصل بالكلية مع الجوع المفرط وتحصل مع كثرة
الاكل وان كان فيها كسل ولا شك ان ترك العبادة بالمرة شر من الكسل فيها
هذا على ان المراد بالجوع والشبع حقيقتهما واما على ان المراد بالجوع قلة
العبادة وبالشبع كثرتها فكانه قال لا تستبعد ذلك اذ رب عمل قليل
شر من عمل كثير فان النفس قد تزين له تكثير العبادة كان تقول له لازم القليل
من العبادة وداوم عليه لان الكثير يضر البدن فيؤدي الى العجز بالكلية
وربما يكون فيه الريا وقصدها بذلك الراحة وقد تزين له كثير العبادة
كان تقول له عليك بالكثير من العبادة ليكثر ثوابك وقصدها بذلك
ان تمجد عند الناس وتعظم عندهم وهذه مفسدة عظيمة لكنه مع الاستكثار

من العبادة وقد يسلم كثير منها بل قد يصلح باطنه في اخر امره وكان
بعض المشايخ يقول عليكم باصلاح ظواهركم فانه يوشك ان تصلح بواطنكم
وحكي ان رجلا تعبد سنين ليشتهر بذلك وتودع عنده الامانة
فيتمتع بها فلم يودع عنده شي فلما طال عليه الامر وبخ نفسه وتاب
الى الله تعالى فلما اصبح اتي بامانة فقال لصاحبها ما كان بيننا وبينها
الا ظلام الليل اذهب بسلام ورب هنا للتعليل والمخمصة المجاعة
والتخم بضم التا وفتح الخا جمع تخمة وهي فساد المعدة بالطعام وقيل فساد
الطعام في المعدة وفسرت ايض بانها ضد المخمصة وهذا قد يقتضيه كلام
المص وتعقب بان ضد المخمصة الشبع وان لم يحصل تخمة وهذا البيت والذي
بعده خاصيتهما ان من قسا قلبه واستولت عليه نفسه وكررهما
ليلة الجمعة عند السحر فانه لا يصبح الا وقد راى رقة في قلبه وكسرا في نفسه
ونهوض اعضائه في العبادة وندم على ما فرط وتاب الله عليه قوله واستفرغ
الدمع اي افرغ الدمع بالبكا او اطلب فراغه بذلك فالسين والتا اما
زائدتان وهو الاظهر او للطلب وقوله من عين قد امتلات من المحارم من
الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية وامتلا العين من المحارم كناية
عند الفقها عن كثرة النظر بها لما لا يجوز شرعا وعند الصوفية واهل
الحبروت الاغيار بها ولذلك يقال للعارف ادب عينيك بدمع الندامة
اذا نظرت لغير ذلك الجمال واقصر نظرك على كمال الكبير المتعال ولم يزل
السلف الصالح يبكون على ما حصل منهم والبكا على الخطيئة معظم العزم
حتى قال بعضهم لو لم يبك الانسان الا على ما ضاع من عمره النفيس من غير
طاعة لكفاه وقال سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا افضل الصلاة واتم
التسليم طوبى لمن بكى على خطيئته وكان عليه الصلاة والسلام كثير البكا
وقيل في قوله تعالى فيهما عينان تجريان انهما لمن له في الدنيا عينان تجريان
وقوله والزم حمية الندم اي والزم حماية الندم لك عن المحارم ويحتمل
والزم الندم الحامي لك عن عقاب المحارم والمراد من الندم التوبة المستكملة

للشروط الشرعية وانما عبر بالندم لانه العمدة في التوبة ولذلك ورد الندم
توبة قوله وخالف النفس والشيطان اي اذا امرتك نفسك والشيطان
بشيء او نهتك نفسك والشيطان عن شيء فخالفهما لانهما عدواك وقوله
واعصهما اشار به الى انه لا يكفي مجرد مخالفتهما لانه قد يخالفهما الى ما يرضيان
به بل لا بد من عصيانهما وان خصت المخالفة بالمكروه والعصيان بالمحرم
كان من عطف الخاص على العام للاهتمام بذكر الخاص وانما قدم النفس
على الشيطان لانها اضر منه وفتنتها اعظم من فتنته اذ هي عدو في صورة
صديق والانسان لا يتنبه لمكايد الصديق وايضا هي عدو من
داخل بخلاف الشيطان فانه عدو ظاهر وقد قيل الخروج عن النفس هو
النعمة العظمى لانها اعظم حجاب بين الشخص وبين الله تعالى وقد سئل بعض
الاشياخ عن الاسلام فقال ذبح النفوس بسيف المخالفة وقال سهل
ابن عبد الله ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى وبالجملة فمخالفة
النفس راس العبادة واول مراتب العباد السعادة وانظر فعل الشيطان
مع ابيك آدم وقد اقسم انه له لمن الناصحين فكيف بك وقد اقسم انه ليغوينك
وقوله وان هما محضاك النصح فاتهم اي وان هما اخلصا لك النصح فيما ابدياه
لك كان يقولا لك تمتع بهذه الشهوة لكي تتوجه الى الطاعة فارغ القلب
ويقولا لك ارفق على نفسك في العبادة لتدوم عليها او اكثر من
العبادة لتفوز بالدرجات العليا ونحو ذلك فاتهمهما بان تنسبهما
الى الخيانة لان مرادهما بذلك الخديعة والمكر وقد تقدم ان اداة الشرط
وهي ان هنا من خواص الفعل فقوله وان هما اصله وان محضا حذف
الفعل فانفصل الضمير والفعل المذكور تفسير للمحذوف على حد قوله تعالى
وان احد من المشركين استجارك وعبر المص بان التي للشك اشارة الى
ان اخلاصهما النصح امر مشكوك فيه بل لا يعرض الا كما يعرض المحال اذ لا يصدر
منهما الا الغش ولذلك قيل ان الشيطان يفتح للانسان تسعا وتسعين
بابا من الخير ليوقعه في باب من الشر وخاصته هذا البيت والذي

بعده

بعده ان من واظب عليهما غلب نفسه وشيطانه ورزقه الله الحفظ منهما
ان شاء الله تعالى قوله ولا تطع منهما الخ هذا البيت تاكيد للبيت قبله
ومعناه انه اذا تخاصم العقل مع النفس وجعلا الشيطان حكما او تخاصم
العقل مع الشيطان وجعلا النفس حكما فلا تطع واحدا من النفس والشيطان
لا الخصم ولا الحكم لان كلا منهما يدعو الى الشر واما العقل فيدعو الى الخير
فاذا تخاصم العقل مع احدهما كان الحكم مع خصم العقل لانه من ناحيته
فلا يحكم الا بما هو على مراده وقيل صورة كون احدهما خصما والاخر حكما
ان احدهما يزين لك الاقدام على المعصية وانت تمتنع عن ذلك لما تعلم من
سوء العاقبة فقد صار خصما لك ثم بعد الاقدام على المعصية يزين
احدهما لك البقاء عليها وانت تريد الخروج منها فيضرب لك اجلا بعد اجل
كما يفعله الحكام فقد صار حكما في ذلك ومما تقرر علم ان الخصم قد يكون النفس
والحكم الشيطان وبالعكس ومن في قوله منهما للتبعيض والضمير فيه عائد
للنفس والشيطان ولا في قوله ولا حكما زائدة لتاكيد النفي وقوله فانت
تعرف كيد الخصم والحكم اي لانك تعرف كيد الخصم والحكم من الناس وكيد النفس
والشيطان اشد قوله استغفر الله الخ لما كان المص معترفا بانه غير عامل
بقوله وقد قال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون استغفر من
ذلك حيث قال استغفر الله الخ والمقصود من قوله استغفر الله الانشاء
وهو يطلب مفعولين ثانيهما مجرور بمن كما هنا ويجوز حذف من نحو استغفر
الله ذنبا اي من ذنب وقوله من قول بلا عمل اي من قول مصحوب بعدم العمل
او متلبس بعدم العمل فالباء للملابسة او المصاحبة ومن للتعدية
او للتعليل وذكر كان يامر ولا ياتمر وينهى ولا ينتهي وظاهر كلام المص
ان الاستغفار من القول المذكور ووجهه بعضهم بان المتبادر من الامر
والنهي ان يكون الشخص مؤتمرا بما امر به منتهيا عما نهى عنه فان لم يكن
كذلك في الواقع كان امره ونهيه رياء ونفاقا فيحتاج للاستغفار منه
وبعضهم جعل الاستغفار منصبا على العمل فقط اعني عدم العمل لان

القول في ذاته طاعة فلا يحتاج للاستغفار منه وعدم العمل ترك طاعة
فيحتاج للاستغفار منه وهذا هو الموافق لمذهب اهل السنة من انه لا بد
للامر والنهي الى العمل بهما لان عدم الامر والنهي معصية وعدم العمل
معصية اخرى وتقليل المعاصي مطلوب ما امكن ولذلك قالوا يجب
على مدير الكاس ان ينكر على الجلاس ويجب على الزاني بامراة ان يامرها بستر
وجهها ومن هذا يعلم ان العالم الذي لا يعمل بعلمه خير من الجاهل
واما قول صاحب الزبد

وعالم بعلمه لن يعملن ۞ معذب من قبل عباد الوثن

فمحمول على اهل الكتاب الذين غيروا وبدلوا وكتموا الحق وقيل ان تعذيبه
من قبل عباد الوثن ليس لكونه اسوا حالا منهم بل للاسراع بتطهيره وقوله
لقد نسبت به نسلا لذي عقم مستانف استينافا بيانيا لانه واقع
في جواب سوال مقدر فكانه قيل له لم استغفرت من ذلك القول فقال لقد
نسبت به نسلا لذي عقم اي لقد نسبت بهذا القول نسلا وهو الذرية
لشخص صاحب عقم بضم العين كما هو لغة في العقم بسكونها وليس جمع عقيم
لان اضافة ذي اليه تمنع من ذلك لا يقال ان المص لم يقع منه نسبة
نسل لذي عقم فكيف يقول لقد نسبت به نسلا الخ لانا نقول المعنى على
التشبيه اي كاني قد نسبت به نسلا الخ ووجه ذلك ان المتبادر من الامر
والنهي ان يكون الامر والناهي موتمرا منتهيا فذلك القول يتضمن نسبة
العمل الى القائل فاذا كان بلا عمل فقد اشبه نسبة النسل لذي العقم
وهو الذي لا يولد لمثله وذلك كذب يستغفر منه فكذا ما اشبهه
وهذا يويد ان الاستغفار من القول المذكور وفي ذكر فضل الاستغفار
طول يخرجنا عن المقصود وما احسن قول القائل

ولو ان فرعون لما طغى ۞ وقال على الله افكا وزورا
اناب الى الله مستغفرا ۞ لما وجد الله الا غفورا

قوله امرتك الخير الى هذا البيت بيان للبيت قبله وامر يتعدى لمفعولين

ثانيهما

ثانيهما بنفسه تارة كما هنا وبالباء تارة اخرى كما في قولك امرت زيدا بكذا
ومراده بالامر ما يشمل النهي كما في قولهم امر السلطان ان لا يوذي احد احدا وان
يجامل في المعاملة فاندفع ما يقال لم خص الامر بالذكر مع انه سبق منه
امر ونهي والمراد امرتك بفعل الخير ونهيتك عن تركه والخير ما له عاقبة
محمودة وقوله لكن ما ائتمرت به اي لكن ما عملت به وقوله وما استقمت اي
بفعل المامورات وترك المنهيات لان الاستقامة هي الاعتدال وعدم
الاعوجاج وذلك يكون بفعل المامورات وترك المنهيات وقد امر الله
نبيه صلى الله عليه وسلم بها في سورة هود واخواتها ~~وقيل قال ذلك~~
قال تعالى فاستقم كما امرت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود
واخواتها وقيل قال ذلك لما فيها من الاخبار عن هلاك الامم الماضين وقوله
فما قولي لك استقم اي فما ثمرة قولي لك استقم حيث لم استقم والاستفهام انكاري
بمعنى النفي اي لا ثمرة له ولا فائدة له لانه لا ينفع غالبا الا اذا استقام القائل
ولذلك قيل في هذا المعنى

يا ايها الرجل المعلم غيره ۞ هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدوا لذي السقام وذي الضنا ۞ كيما يصح به وانت سقيم
ابدا بنفسك فانهها عن غيها ۞ فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويشتفي ۞ بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتاتي مثله ۞ عار عليك اذا فعلت عظيم

فان قيل لم يتقدم منه امر بالاستقامة حتى يظهر قوله فما قولي لك استقم اجيب
بانه تقدم ضمنا لانه يعلم من كلامه السابق قوله ولا تزودت قبل الموت اي المراد
بالتزود هنا العمل وانما عبر بالتزود نظرا لكون الموت سفرا طويلا
محتويا على الاهوال والمشاق والسفر المذكور يناسبه التزود قال تعالى
قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى والذي عليه المحققون من المفسرين
ان المراد بالتزود اخذ الزاد الذي هو ما يوصلهم لمقصودهم والمراد بالتقوى
في هذه الاية ما يتقى به ذل السوال وقوله نافلة اي مستقلة فاندفع ما يقال

ان الفرائض مشتملة على النوافل فلا يتم قوله ولا تزودت قبل الموت نافلة
مع كونه كان يفعل الفرائض وقد اشتهر ان النافلة يجبر بها ما نقص من
الفرائض لكن نقل القرطبي في التذكرة عن الشافعي رضي الله عنه ان ذلك
فيما نقص من الفرائض سهوا واما ما نقص منها عمدا فلا يجبر بالنافلة وان
كثرت جدا او قوله ولم اصل سوى فرض ولم اصم انما خص الصلاة والصوم
بالذكر لانهما محض عبادة بدنية وانما سكت عن الايمان لانه لا يتنفل به
وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة الاول اي ولم اصم سوى فرض لا يقال
يبعد انه لم يقع منه صلاة السنن كالوتر وغيره وصوم السنن كصوم
عاشورا وغيره لانا نقول انما نفى ذلك تنزيلا لما فعله من النوافل منزلة
العدم لاتهامه لنفسه في الخلاص فيه وما قيل من انه كان اذا صلى نافلة
نذرها او صام نفلا نذره فهو بعيد وخاصية هذا البيت والذي
قبله ان من دخله العجب او الريا في علم او عمل كتبهما عند طلوع الفجر وكررها
احدى وسبعين مرة علق ذلك المكتتب على عضده الايسر ما تلاحمه صح
جنبه فانه يتواضع صح ويصير امنا من العجب والريا **قوله** ظلمت سنة من ا
هذا تخلص للشروع في المقصود وهو مدحه صلى الله عليه وسلم ولم يشرع
فيه الا بعد الوعظ والاستغفار والندم تاهيلا لمدح هذا الجناب الشريف
ولما اخبر عن نفسه بما اخبر من كثرة التفريط واخبر بانه لم يتزود من
النافلة حكم بانه ظلم سنة سيد المرسلين اي جار فيها ووضعها في غير
موضعها لان الظلم هو الجور ووضع الشيء في غير محله والسنة لغة الطريقة
وشرعا الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب ومن واقعة
على نبي وهو نبينا صلى الله عليه وسلم وقوله احيى الظلام اي انار الليل المظلم
بالصلاة فالمراد بالظلام المظلم والمراد باحيائه انارته بالصلاة اذ العبادة
كما تؤثر النور في وجه العابد تؤثره في زمنها ولا يخفى ان في كلامه استعارة
تصريحية تبعية او استعارة مكنية فيكون قد شبه الانارة بالاحيا
بجامع النفع في كل واستعار الاحيا للانارة واشتق من الاحيا بمعنى

الانارة احيى بمعنى انار او شبه الظلام بمعنى الليل المظلم بميت يحيى تشبيها مضمرا
في النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو الاحيا وقوله
الى ان اشتكت قدماه الضر من ورم اي واستمر احياؤه صلى الله عليه وسلم الظلام
الى ذلك فهو غاية في الاحيا لكن لا مفهوم لهذه الغاية واشتكا القدمين
كناية عن شدة الالم الحاصل لهما من كثرة القيام على وجه المبالغة والورم
ازدياد الحجم على غير اقتضا طبيعي وسببه ورم القدم من كثرة القيام انصباب
المواد التي في اعالي الجسم اليهما لطول القيام فانه صلى الله عليه وسلم وان لم يكن صح
يزيد بالليل على اثنتي عشر ركعة لكن كان يطيل فيها وقد روى المغيرة انه
قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له اتتكلف هذا
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا
وفي رواية انه قال جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا فانزل الله
سبحانه وتعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى وفي هذا البيت
مزيد التعزير لنفسه فكانه يقول لها ما بالك في هذا التقصير وعدم الاقتدا
به صلى الله عليه وسلم في كثرة عباداته وغلبة طاعته ولهذا اختار هذه
الصفة من بين الصفات وخاصية هذا البيت والاربعة بعده
ان من جعل عليه قيام الليل وغلب عليه النوم والكسل ولا زالت نفسه
تميل لراحة الدنيا فليكتب هذه الابيات في لوح ويجعله عند راسه
فيتزين لديه العمل الصالح وتحدثه نفسه بامور الاخرة **قوله** وشد من سغب
اي عطف على احيى الظلام فهو من عطف على الصلة فيكون صلة وانما اتى بذلك
نظرا لقوله في البيت السابق ولم اصم عقب قوله ولم اصل سوى فرض وبهذا
ظهر حكمة تخصيصها فيما تقدم والشد العصب والربط والسغب بسين
مهملة وغين معجمة الجوع ومن الداخلة عليه للتعليل اي عصب وربط من اجل
جوع وقوله احشاءه مفعول لشد والاحشا جمع حشا وهو كما في الصحاح
ما اضطمت عليه الضلوع وقيل القلب وقيل الامعا وفائدة هذا الشد
انضمام الاحشا على المعدة فتخمد الحرارة بعض خمود لان المعدة اذا امتلات

بالطعام اشتغلت الحرارة بهضمه واذا اخلت عن الطعام طلبت الحرارة رطوبة
الجسم فيتألم الانسان فبالشد تضعف تلك الحرارة وقد روى الشد مسلم
عن انس قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته جالسا مع
اصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة فقالوا من الجوع وقوله وطوى
تحت الحجارة كشحا مترف الادم عطف تفسير على الشد والطي اللف والكشح الخاصرة
والمترف الناعم من الترف وهو النعومة المفرطة وفائدة هذا الطي ان برودة
الحجر تخفف حرارة الباطن وقد روى البخاري الطي عن جابر قال مكث صلى الله
عليه وسلم لم يذق الطعام ثلاثا وهم يحفرون الخندق فقالوا يا رسول الله
ان ههنا كدية من الجبل قد عجزت معاولنا عنها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم رشوها بالماء فرشوها به ثم جاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخذ المعول ثم قال بسم الله فضرب ثلاثا فصارت كثيبا قال جابر
فحانت مني التفاتة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شد على بطنه
حجرا واستشكل ما ذكر من الشد والطي بقوله صلى الله عليه وسلم ابيت عند
ربي يطعمني ويسقيني لان من هذا حاله لا يعصب احشاءه ويطوي
كشحه تحت الحجارة من الجوع واجيب بان معنى الحديث ابيت مستحضرا جلال
ربي فيعطيني قوة الطاعم والشارب والمراد بذلك انه ضمن له قوة بدنه
ونضارة جسمه حتى ان من راه لا يظن به جوعا ولا عطشا كما اشار الى ذلك
الناظم بقوله مترف الادم فهو من قبيل الاحتراس وحينئذ فحصول الجوع له صلى الله
عليه وسلم لانه انما نفيه الاطعام في الحديث قوله وراودته الجبال الخ لما كان
قد يتوهم من قوله وشد من سغب الخ انه صلى الله عليه وسلم كان فقيرا من المال
دفع ذلك التوهم بقوله وراودته الجبال الخ والمراودة المطالبة يقال راوده
اي طلب منه ان يكون على مراده واسناد المراودة للجبال مجاز لان الله هو
الذي خيره في ذلك ويحتمل ان يكون حقيقة اذ لا مانع من ان يخلق الله فيها
ادراكا وتراوده حقيقة وال في الجبال للعهد الذهني والمعهود ذهنا هو جبال
مكة كما تدل عليه الاحاديث الصحيحة فقد روي انه صلى الله عليه وسلم

قال

قال عرض علي ربي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع
يوما فاذا شبعت حمدتك واذا جعت تضرعت اليك ودعوتك وروي
ان جبريل عليه السلام نزل عليه صلى الله عليه وسلم فقال له ان الله يقرئك
السلام ويقول لك اتحب ان تكون لك هذه الجبال ذهبا وفضة تكون معك
حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال
من لا مال له يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله بالقول
الثابت وقوله الشم اي المرتفعة وهي جمع اشم مشتق من الشمم وهو الارتفاع
وقوله من ذهب اي ان تكون من ذهب فهو خبر لتكون المحذوفة وليس حالا
خلافا لبعضهم لانها لم تكن من ذهب حين المراودة وانما طلبت منه ان
تكون كذلك وقوله عن نفسه اي من اجل نفسه فعن للتعليل وقوله
فاراها ايما شمم اي فاراها شمما ايما شمم اي شمما عظيما اي اعراضا شديدا
علما منه بان ما عند الله خير وابقى قوله واكدت زهده فيها الخ التاكيد
التقوية والزهد ترك الشيء وقلة الرغبة فيه والضمير المجرور يرجع
للجبال التي تكون من ذهب وبعضهم جعله راجعا للدنيا والاول اولى لعدم
تقدم ذكر الدنيا وان كانت معلومة من المقام والضرورة شدة الحاجة
ولا يخفى ان زهده مفعول مقدم وضرورته فاعل موخر وانما اكدت ضرورته زهده
فيها لان الاعراض عن الشيء وقلة الرغبة فيه مع شدة الاحتياج اليه
دليل جلي وبرهان قطعي على الزهد في ذلك الشيء وقوله ان الضرورة الخ مستانف
استئنافا بيانيا لكونه واقعا في جواب سؤال مقدر فكانه قيل له كيف تؤكد
ضرورته زهده فيها مع ان الضرورة تقتضي الاقبال عليها وعدم الاعراض
عنها فقال ان الضرورة الخ وقوله لا تعدو على العصم اي لا تتعدى عليها يقال عدى
عليه اي تعدى عليه وفي كلامه حذف مضاف اي على ذوي العصم وهم الانبيا
عليهم الصلاة والسلام هذا ان قرا العصم بكسر العين وفتح الصاد كما هو
المشهور على انه جمع عصمة فان قرا العصم بفتح العين وكسر الصاد كما استصوبه
ابن مرزوق على ان اصله عصيم بمعنى معصوم حذفت ياؤه للضرورة فلا حذف

فى كلامه وعلم من ذلك الفرق بين ضرورة من عصمه الله تعالى وضرورة غيره
لان ضرورة من عصمه الله تعالى لا تدعوه الى احسن الاشيا فضلا عن اخسها
وضرورة غيره تدعوه الى اخس الاشيا حتى انها تبيح له تناول ما لا ينبغى
تناوله ولو كان محرم الاكل كالميتة وفى كلام المص اشارة الى جواز وصفه صلى
الله عليه وسلم بالزهد وهو الحق خلافا لمن منعه معللا بان الزهد فى الشى
فرع عن التعلق به لكن قد عيب على هذا البيت والذى بعده فى اثبات الضرورة
له صلى الله عليه وسلم مع انه لم يثبت له صلى الله عليه وسلم اصل الحاجة فضلا
عن الضرورة وما احسن قوله فى الهمزية

مستغل دنياك ان ينسب الامساك منها اليه والاعطاء

قوله وكيف تدعو اى استفهام انكارى بمعنى النفى اى لا تدعو انى والدعا الطلب
والميل وقوله الى الدنيا متعلق بتدعو والدنيا صفة فى الاصل ثم نقلت
للاسمية فجعلت اسما لهذه الدار التى نحن فيها وقد تطلق على اعراضها
وزخارفها من المال والجاه وما اشبههما وهذا هو المراد هنا وقوله ضرورة
من اى ضرورة نبى او رسول فمن واقعة على نبى او رسول وقد تقدم الكلام
على الضرورة وقوله لولاه لم تخرج الدنيا من العدم يبنى الفعل وهو تخرج
للمفعول او للفاعل وان اقتصر بعضهم على الاول اى لولا وجوده صلى الله عليه
وسلم لاستمرت الدنيا على عدمها ولم توجد فوجوده صلى الله عليه وسلم
علة فى وجودها فلو كانت ضرورته تدعو الى الدنيا لكان وجوده معلولا
لوجودها وهو خلف والاصل فى ذلك ما رواه الحاكم والبيهقى من قول الله
تعالى لادم لما ساله بحق محمد ان يغفر له ما اقترفه من صورة الخطيئة
وكان راى على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله سالتنى بحقه
ان اغفر لك وقد غفرت لك ولولاه ما خلقتك فوجود ادم عليه السلام
متوقف على وجوده صلى الله عليه وسلم وادم ابو البشر وقد خلق الله لهم ما فى الارض
وسخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك كما هو نص القران قال تعالى
خلق لكم ما فى الارض جميعا وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل

والنهار

واذا كانت هذه الامور انما خلقت لاجل البشر وابو البشر انما خلق لاجله صلى الله
عليه وسلم كانت الدنيا انما خلقت لاجله فيكون صلى الله عليه وسلم هو السبب
فى وجود كل شىء قوله محمد الخ اى الممدوح محمد الخ فهو خبر مبتدا محذوف على قراءته
بالرفع ويصح فيه النصب على انه مفعول لفعل محذوف اى امدح محمدا ويجوز
الجر على انه بدل من الموصول الذى فى قوله وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من الخ
وقوله سيد الكونين اى اشرف اهل الكونين فهو على تقدير مضاف والمراد
بالكونين الدنيا والاخرة وقوله والثقلين اى الانس والجن وانما سميا ثقلين
لثقلهما على الارض او لثقلهما بالذنوب والعطف فى ذلك من عطف الخاص على
العام وكذلك العطف فى قوله والفريقين ونكتة التصريح به فى مقام المدح
ونصف البيت الثانى من الثقلين فزيادة بعض الناس لفظ خير قبل الفريقين
خطا وقوله من عرب ومن عجم بيان للفريقين والعرب بضم العين وسكون
الراء لغة فى العرب بفتحهما والمراد بالعجم غير العرب قوله نبينا الامر الخ يجرى فى قوله
نبينا اوجه الاعراب الثلاثة كما تقدم فى محمد والاضافة فى نبينا للتشريف
المضاف اليه وقوله الامر الناهى اى عن الله تعالى وهذا يستلزم كونه
رسولا فهو فى قوة ان يقول الرسول وقوله فلا احد ابر منه فى قول لا ولا
نعم اى اذا امر ونهى فلا احد اصدق منه فى الامر والنهى وقد عبر عن النهى
بقوله لا وعن الامر بقوله نعم ويحتمل انه كنى بلا عن الخبر المنفى وبنعم عن الخبر
المثبت اما مطلقا او عن الثواب والعقاب وبالجملة فهو صلى الله عليه
وسلم اصدق الناس فى الخبر ولا فى قوله ولا نعم زائدة لتاكيد النفى وما ورد
من انه لم يقل لا قط محمول على انه لم يقل لا فى شىء سئل عنه من حوائج الدنيا
بل ان كان عنده شىء اعطاه للسائل وان لم يكن عنده شىء سكت او وعده
وبالغ بعضهم حتى قال

ما قال لا قط الا فى تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعم

وهذا باعتبار الغالب والا ففى صحيح البخارى ان الاشعريين جاوا النبى صلى
الله عليه وسلم وطلبوا منه ان يحملهم فقال والله لا احملكم الى اخر الحديث

وهذا البيت والذي بعده خاصيتهما التخلص من الوقوع في الشدائد فمن واظب
على قراءتهما خلص من الوقوع في الشدائد ومن وقع في شدة قبل قراءتهما وكرر قراءتهما
في جوف الليل وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم رفعت عنه تلك الشدة **قوله**
هو الحبيب اي الضمير راجع لمحمد ولنبينا والحبيب اما بمعنى محب فيكون اسم فاعل
او بمعنى محبوب فيكون اسم مفعول وهو محتمل فالمراد هو الحبيب لله ولامته
لانه اعظم محب لله وافضل محبوب له وهو ايضا محب لامته ومحبوب لها
اذ من شرط كمال الايمان ان يكون احب من المال والولد والنفس فقد قال عمر
رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من مالي وولدي
والناس اجمعين دون نفسي فقال له عليه الصلاة والسلام لا يكمل ايمانك
حتى اكون احب اليك من نفسك التي بين جنبيك فقال عمر رضي الله عنه انت
احب الي من نفسي فقال له عليه الصلاة والسلام قد كمل اذا ايمانك وهذا ترق
لسيدنا عمر في الحال ببركته صلى الله عليه وسلم او ان ذلك كان كامنا في نفسه
غير انه لحدته لم ينتبه لذلك الا بتنبيهه صلى الله عليه وسلم وهذا هو
اللائق بالادب لكنه بعيد جدا وقوله الذي ترجى شفاعته لكل هول من
الاهوال مقتحم اي الذي ترجى شفاعته وهي طلب الخير للغير عند كل هول
فاللام بمعنى عند والهول هو الامر المخوف حال كون ذلك الهول بعض الاهوال
المفزعة موصوف ذلك الهول بانه مقتحم فيه اي واقع فيه الناس فهو من
باب الحذف والايصال فحذف الجار واتصل الضمير والاقتحام هو الوقوع
في الشيء كرها يقال اقتحم الامر اذا وقع فيه كرها وانما عبر بالرجاء مع ان شفاعته
صلى الله عليه وسلم مقطوع بها اشارة الى انه لا ينبغي للشخص ان ينهمك في المعاصي
ويتكل على الشفاعة وله صلى الله عليه وسلم شفاعات منها شفاعته في فصل
القضاء حين يتمنى الناس الانصراف من المحشر ولو للنار لشدة الهول وهذه هي الشفاعة
العظمى وتسمى المقام المحمود لانه يحمده عليها الاولون والاخرون وهي مختصة
به صلى الله عليه وسلم ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم في دخول جماعة الجنة
بغير حساب بل يقومون من قبورهم لقصورهم وهذه مختصة به صلى الله عليه وسلم

ايضا

ايضا ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم في جماعة استحقوا النار ان لا يدخلوها
بل يدخلون الجنة وكذلك هذه مختصة به صلى الله عليه وسلم ومنها شفاعته
صلى الله عليه وسلم في جماعة دخلوا النار ان يخرجوا منها وهذه غير مختصة
به صلى الله عليه وسلم بل تكون لغيره ايضا من العلماء والاولياء ومنها شفاعته
صلى الله عليه وسلم في رفع درجات الناس في الجنة وهذه لم يثبت اختصاصها
به صلى الله عليه وسلم لكن جوزه النووي ومنها شفاعته صلى الله عليه
وسلم في تخفيف العذاب عن بعض الكافرين كعمه ابي طالب على القول بان الله
لم يحييه فامن به صلى الله عليه وسلم وهو المشهور والذي يحب اهل البيت
يقول بان الله احياه وامن به صلى الله عليه وسلم والله قادر على كل شيء ولا
ينافي شفاعته صلى الله عليه وسلم في تخفيف عن بعض الكافرين قوله تعالى
لا يخفف عنهم العذاب لان المنفي انما هو تخفيف عذاب الكفر فلا ينافي انه
يخفف عنهم عذاب غير الكفر على احد الاجوبة **قوله** دعى الى الله اي دعى
الى دين الله كما قال تعالى ادع الى سبيل ربك وهو الاسلام ففي كلام
المص حذف مضاف والمفعول محذوف اي عباده وهو شامل للملائكة
فقد دعاهم صلى الله عليه وسلم تشريفا لهم وتعريفا لما لم يكونوا يعرفونه
لانهم اذا عرفوا من ادم عليه السلام ما لم يكونوا يعرفونه فليعرفوا منه صلى
الله عليه وسلم ما لم يكونوا يعرفونه بالطريق الاولى وقوله فالمستمسكون
به مستمسكون بحبل غير منفصم اي كما قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن
بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والمراد من الحبل
السبب كما هو احد اطلاقاته والفصم بالفاء القطع من غير ابانة بخلاف
القصم بالقاف فانه القطع مع الابانة ونفي الاضعف يستلزم نفي الاقوى
فكونه غير منفصم يستلزم كونه غير منقصم وانما لم يقل فالمجيبون له الخ
وان كان هو المناسب للدعا تنبيها على ان مجرد الاجابة بالقول ونحوه
لا يكفي في النجاة من المهالك بل لا بد من الاستمساك به صلى الله عليه وسلم كما يفعل
من تصعد من مهوى في تعلقه بالحبل والتزامه به وان قصر في الاستمساك

ولو لحظة هوى وفائدة هذا البيت حفظ الايمان والامان من سلبه بان لا
بعد كل صلاة عشر مرات مفتتحة بالصلاة والسلام على النبي بصيغة مخصوصة
وهي اللهم صل وسلم على نبيك البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير قوله
فاق النبيين اي زاد صلى الله عليه وسلم على النبيين وكذا على غيرهم بالطريق
الاولى في خلق بفتح الخاء وسكون اللام وهو الصورة والشكل وفي خلق
بضمهما وهو ما طبع عليه الانسان من الخصال الحميدة كالعلم والحياء والجود
والشفقة والحلم والعدل والعفة وامثال ذلك فقد اجتمع فيه صلى الله
عليه وسلم ما تفرق في غيره من تلك الخصال وقد ذكر بعضهم ان من تمام الايمان
ان يعتقد الانسان انه لم يجتمع في احد من المحاسن الظاهرة والباطنة مثل
ما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم واعترض على الناظم بان مقتضى كلامه
انه صلى الله عليه وسلم فاق النبيين في بعض الخلق بفتح الخاء وسكون اللام
وبعض الخلق بضمهما لان كلا منهما نكرة وهي في سياق الاثبات لا تعم
وهذا ليس بمدح تام لانه يحتمل بعد ذلك ان يساويهم في البعض الاخر ويحتمل
ان يفوقوه فيه وعلى هذا فان كان ما فاقوه فيه مثل ما فاقهم فيه حصلت
المعادلة وان كان انعكس ما قصده المص من المدح واجيب بان المراد في خلقهم
وفي خلقهم فهما مضافان في المعنى فيعمان على ان النكرة في سياق الاثبات
قد تعم ولما لم يلزم من كونه فاقهم في ذلك نفي مقاربتهم له نفاها ولم يدانوه
اي لم يقاربوه وقوله في علم ولا كرم اي ولا غيرهما وانما اقتصر المص عليهما لان العلم
راس الفضائل والكرم راس الفواضل ولا يرد على ذلك ما ورد من النهي عن
التفضيل بين الانبيا كقوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوا بين الانبيا
لانه محمول على تفضيل يؤدي الى تنقيص وليس في ذلك تنقيص لاحد من النبيين
لانا نعتقد انهم متصفون بالكمال والنبي اكمل قال تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض قال ابن عباس المراد بالبعض الاول محمد صلى الله عليه وسلم قوله
وكلهم من رسول الله اي هذا البيت كالدليل للبيت قبله والجار والمجرور متعلق
بقوله ملتمس والاضافة في رسول الله للعهد والمعهود هو سيدنا محمد صلى

الله

الله عليه وسلم والمراد من قوله ملتمس اخذ وان كان الالتماس معناه في الاصل
الطلب وقوله غرفا من البحر او رشفا من الديم اي حال كون بعض الملتمسين
مغترفا من البحر وبعضهم مرتشفا من الديم فهو اشارة الى اختلاف احوال الملتمسين
فاولوا العزم مثلا اكثر التماسا من غيرهم فاو في ذلك للتنويع والتقسيم
والغرف مصدر غرف بمعنى اخذ والبحر ضد البر سمي بذلك لعمقه واتساعه والرشف
المص والديم جمع ديمة وهي المطر الدائم يوما وليلة من غير رعد والمراد من البحر
والديم هنا علمه وحكمه صلى الله عليه وسلم فكل منهما استعارة تصريحية وكل من
الغرف والترشف ترشيح وانما عبر في جانب البحر بالغرف وفي جانب الديم بالرشف
لان الغرف مناسب للبحر لكثرته دون الديم لانها تجري على وجه الارض فلا يجتمع
منها ما غالبا حتى يغترف قوله وواقفون اي عطف على قوله ملتمس لكن نظر
في احدهما للفظ كل وفي الاخر لمعناه ومعنى كونهم واقفين لديه عند حدهم
انهم ثابتون عنده صلى الله عليه وسلم في العلم والحكم عند الحد الذي حد لهم فلا
يتجاوزونه واما هو صلى الله عليه وسلم فلم يزل يترقى بعد ذلك فنهاية
مراتبهم في العلم والحكم مبدا مراتبه صلى الله عليه وسلم منهما فوقوفهم لديه
صلى الله عليه وسلم وقوف ذي الغاية عند مبدا غيره وقوله من نقطة
العلم او من شكلة الحكم بيان لحدهم والمعنى على التشبيه والاضافة في الموضعين
على معنى من اي الذي هو كنقطة من العلم او كشكلة من الحكم والمراد من العلم والحكم
علم الرسول وحكمه كما قال بعض الشارحين وقيل المراد بهما علم الله وحكمه
وحاصل المعنى على الاول انهم ثابتون لديه صلى الله عليه وسلم
في العلم والحكم عند حدهم الذي هو كالنقطة من علم الرسول او كالشكلة
من حكمه صلى الله عليه وسلم وحاصل المعنى على الثاني انهم ثابتون لديه
في العلم والحكم عند حدهم الذي هو كالنقطة من علم الله او كالشكلة من
حكمه تعالى فعلمهم بالنسبة لعلمه صلى الله عليه وسلم كنقطة من علم الله
وحكمهم بالنسبة لحكمه صلى الله عليه وسلم كشكلة من حكمه تعالى وهذا ابلغ
في مدحه صلى الله عليه وسلم من الاول لكن الاقرب الاول وعلى كل فاو للتنويع

والتقسيم وانما خص النقطة بالعلم والشكلة بالحكم لان النقطة تميز الحروف المشـ
الصور والعلم خاصيته التمييز لانه صفة تقتضي تمييزا لا يحتمل النقيض
بوجه والشكلة بها يضاف الحكم لصاحبه مع زوال اللبس والاخلال والحكمة
فائدتها وضع الشيء في المكان الذي يستحقه على اكمل وجه لئلا يختل النظام قوله
فهو الذي تم الخ مفرع على قوله فاق النبيين اي كمل على اللف والنشر المشوش
لان معناه يرجع للخلق بضمتين وصورته للخلق بفتح الخاء وسكون اللام
فان المراد من معناه كمالاته الباطنية كما هو المراد بالخلق بفتح الخاء وسكون
اللام وقوله ثم اصطفاه حبيبا باري النسم اي ثم اختاره حبيبا خالق الخلق
والنسم بفتح النون المشددة جمع نسمة بفتحات وهي الانسان وانما خص
الوصف المذكور من بين اوصافه تعالى تنبيها على انه تعالى خلقه على تلك
الصورة ووفقه لتلك الاخلاق الحميدة ومن ذلك تعلم ان ثم ليست للترتيب
في الصفات كما قاله بعضهم بل للترتيب في الذكر والاخبار ويمكن حمل
كلام بعضهم على ذلك بان يحمل على تقدير مضاف والاصل للترتيب في ذكر
الصفات قوله منزه اي وهو منزه الخ وقوله عن شريك اي عن كل شريك
لانه نكرة في سياق النفي معنى فان المعنى لا يوجد له شريك والنكرة ولو
في سياق النفي ولو معنى تعم وقوله في محاسنه اي صورة ومعنى وقد تنازعه
كل من منزه وشريك والمحاسن جمع محسن على غير القياس وقيل جمع حسن
على غير قياس واعترض على المص بان النبيين مشاركون له صلى الله
عليه وسلم في محاسنه واجيب بان ما عندهم من المحاسن مثل النقطة او الشكلة
كما يدل عليه ما ذكره سابقا في العلم والحكم الخ فلا مشاركة وقوله فجوهر
الحسن الخ مفرع على قوله منزه عن شريك الخ والمراد من جوهر الحسن ذاته وحقيقته
وقوله فيه الخ اي الكائن فيه وقوله غير منقسم اي بينه وبين غيره
لاختصاصه به بخلاف يوسف فانه اعطي شطر الحسن وانما لم يفتتن
به صلى الله عليه وسلم كما افتتن بيوسف عليه السلام لان جماله مستتر بجلاله
فلم يمكن احدا ان يتامل فيه حتى يفتتن به قوله دع ما ادعته النصارى

في هذا البيت احتراس عما يوهمه قوله منزه عن شريك في محاسنه من شموله
صفات الاله فدفع ذلك بهذا البيت وفيه اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم
لا تطروني كما اطرت النصارى المسيح ولكن قولوا عبد الله ورسوله والمراد بما
ادعته النصارى في نبيهم قولهم بانه اله لانهم يقولون بان الله اله وعيسى
اله ومريم اله وبعض فرقهم يقولون بانه ابن الله كما قال تعالى وقالت
النصارى المسيح ابن الله والنصارى هم قوم عيسى وسموا بذلك لانهم نصروه
والاضافة في نبيهم للرد عليهم في دعواهم الالوهية له مع انهم يسلمون انه نبيهم
والنبي ليس الها فلا تنافي الاضافة ان سيدنا محمدا نبيهم ايضا خلافا لما
قد يتوهم من ظاهر الاضافة من انه صلى الله عليه وسلم ليس نبيا لهم وقوله
واحكم بما شئت مدحا فيه اي احكم بما شئت مما يدل على شرفه وعلو شانه
وعظم جاهه من جهة المدح فيه صلى الله عليه وسلم ذاتا وصفات اخذا من
قوله وانسب الخ وقوله واحكم اي راعي الحكمة في مدحك له صلى الله عليه وسلم
بان تاتي بالمدح اللائق بجنابه الشريف وقدره المنيف دون غير اللائق
بذلك الجناب فليس قوله واحكم حشوا كما قيل لانه افاد انه وان جاز لك
مدحه صلى الله عليه وسلم بما شئت غير ما ادعته النصارى في نبيهم ينبغي
عليك مراعاة الحكمة في مدحه عليه الصلاة والسلام ومن هذا تعلم
ان ما يقع من التغزل بابيات مشتملة على صفات الاحداث لا يجوز حمله
على النبي صلى الله عليه وسلم لان ذلك اساءة ادب لكونه لا يليق بالجناب الشريف
ولذلك لم يقع مثل هذا من احد من مداحه صلى الله عليه وسلم كحسان والمص
وابن رواحة قوله وانسب الى ذاته الخ هذا البيت تفصيل لما اجمله في قوله
واحكم بما شئت مدحا اي ويؤيد ذلك ما في بعض النسخ من التعبير بالفا
بدل الواو وبعض الشارحين حمل قوله واحكم بما شئت الخ على ان المراد انك
تحكم بصحة ما شئت مما سمعته من جهة المدح الكائن من غيرك وحمل قوله
وانسب الى ذاته الخ على ان المراد انك تباشر المدح وتنشاوه والاول اقرب لكلامه
كما لا يخفى وقوله ما شئت من شرف اي الخ الذي شئته من صفات الشرف

كتناسب الاعضاء والبياض المشوب بحمرة ونظافة الجسم وطيب العرق وفص
اللسان وبلاغة القول ووفور العقل وذكاء اللب وغير ذلك وقوله وانسب
الى قدره ما شئت من عظم اي وانسب الى كماله لذي شـ[illegible] تعالى
كالكرم والعفو والصفح والحلم والعلم وامثال ذلك ومن في الموضعين للبيان [illegible]
وخص الذات بالشرف لمناسبته لها في العلو وخص القدر بالعظم لمناسبته
له في عدم النهاية قوله فان فضل رسول الله اي هذا البيت تعليل للبيت قبله
فكانه قال لان فضل رسول الله الخ وقوله ليس له حد اي ليس له غاية ومنتهى
لانه صلى الله عليه وسلم لم يزل يترقى في الكمال كل لحظة قال السيد علي وفا وسير
لهذا قوله تعالى وللاخرة خير لك من الاولى لان معناه الاشارة وللحظة
المتاخرة خير لك من اللحظة المتقدمة لانه صلى الله عليه وسلم يترقى في المتاخرة
الى كمالات زائدة عما ترقى اليه في المتقدمة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
انه ليغان على قلبي فاستغفر الله اي انه ليتراكم الانوار على قلبي فاستغفر
الله مما قبل ذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابي الحسن الشاذلي لما
راه في النوم وساله عن معنى هذا الحديث انه غين انوار لا غين اغيار يا مبارك
وقوله فيعرب عنه ناطق بفم اي فيفصح عن فضله صلى الله عليه وسلم
متكلم بلسان فمعنى يعرب يفصح وهو بالنصب في جواب النفي والضمير راجع
لفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى ناطق متكلم والمراد من الفم
اللسان وعبر عنه بالفم لانه محله فهو مجاز مرسل من باب اطلاق اسم
المحل على الحال فيه وقوله بفم بعد ناطق للتاكيد على حد قولك سمعت باذني
ونظرت بعيني وللاشارة الى التعميم في الناطق فيشمل العربي والعجمي كما قيل
به في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم
امثالكم فان كلا من قوله في الارض بعد دابة وقوله يطير بجناحيه بعد طائر
للتعميم فيهما قوله لو ناسبت اي كان المص ادعى ان اياته لم تناسب قدره
في العظم وذكر هذا البيت استدلالا على ذلك فانه اشارة الى قياس
استثنائي نظمه هكذا لو ناسبت اياته قدره في العظم لكان من جملة اياته

ان

ان يحيي اسمه دارس الرمم حين يدعى به فلم تناسب اياته قدره في العظم وهو
المطلوب لان الواقع ان قدره صلى الله عليه وسلم اعظم من اياته حتى من القران
المتلو بخلاف القران غير المتلو وهو المعنى القائم بذاته تعالى فانه اعظم
منه لان القديم افضل من الحادث وما شاع على الالسنة من ان كل حرف من
القران افضل من محمد وال محمد فكلام باطل ولا يصح حمله على الكلام القديم لانه
ليس بحرف ولا صوت خلافا لمن زعم ذلك وقد ذكر المص الشرطية وحذف
الاستثنائية والنتيجة ووجه الملازمة في الشرطية ان الاحيا المذكور
اعظم اياته وبه تكون الايات مناسبة لقدره صلى الله عليه وسلم اي يكون مجموعها
بواسطة كون الاحيا منه مناسبا لقدره الشريف لا كل فرد منها لانه لا يلزم
من جعل الاحيا المذكور منها ان يكون كل فرد منها مناسبا لقدره صلى الله عليه وسلم
لا يقال كيف لم يجعل الاحيا من اياته صلى الله عليه وسلم مع جعله من ايات
عيسى عليه السلام لانا نقول الكلام من احيا اسمه دارس الرمم حين يدعى
وهذا كما لم يجعل من اياته صلى الله عليه وسلم لم يجعل من ايات عيسى عليه السلام
وانما الذي جعل من ايات عيسى احياؤه الموتى باذن الله ولا يخفى ان قدره
مفعول مقدم واياته فاعل موخر والمراد بقدره كمال قربه من الله تعالى
والمراد باياته علامات نبوته كالمعجزات وقوله عظما منصوب على نزع الخافض
كما اشرنا اليه ويصح ان يكون تمييزا بل هو الاولى لان النصب على نزع الخافض
سماعي لكن كثر في كلام المؤلفين حتى جرى مجرى القياس وقوله احيا اسمه
حين يدعى دارس الرمم اي احيا الله بسبب اسمه دارس الرمم حين يدعى
به كان يقال يا الله بمحمد احي هذا الميت فاسناد الاحيا الى اسمه مجاز
عقلي وصلة يدعى محذوفة اي به والظرف متعلق بقوله احيا ودارس الرمم
مفعول احيا فهو منصوب وجوز بعضهم ان يكون مرفوعا على انه نائب
فاعل يدعى ودعاؤه باسمه كان يقال يا ميت احي باسم محمد صلى الله عليه وسلم
ودارس الرمم بمعنى المدروس واضافته لما بعده من اضافة الصفة
للموصوف اي الرمم المدروسة والرمم جمع رمة وهي الشيء البالي والمدروسة

التي زيد في بلائها **وخاصية** هذه الابيات التي اولها محمد سيد
الكونين الى اخر هذا البيت شدة قلب المغازي في سبيل الله فانه يكتبهن
ويمحوها بالما الموجود في شهر برمودة ويشربها فانه تفيد ذلك لا يخاف من
الحرب ولا يزول وكذلك من كتبها بما ورد وزعفران وشربها فان الله يثبته
عند سؤال منكر ونكير **قوله** لم يمتحنا اي لم يختبرنا بشيء تتحير عنه عقولنا
ولا تهتدي لوجهه لشدة رغبته في هدايتنا بل اتى بالحنيفية الواضحة
فلم نتردد فيما اتانا به ولم نتحير فيه فالامتحان الاختبار وما واقعة
على شيء والعي بلام العجز عنه وعدم الاهتدا الوجهه والعقول جمع عقل
وهو قوة يميز بها بين المصالح والمفاسد والحرص على الشيء شدة الرغبة فيه
والارتياب الشك والهيام التحير ولا يخفى ان قوله حرصا علينا على تقدير
مضاف اي حرصا على هدايتنا وهو مفعول لاجله وقد كان صلى الله عليه
وسلم يضرب الامثال بالمحسوسات ليتضح ما يخفى دراكه على بعض العقول
فان قيل كيف يصح قول المص لم يمتحنا بما تعي العقول به مع ان في القران
المتشابه الذي لا يعلم تاويله الا الله اجيب بان المراد لم يمتحنا فيما
كلفنا به بما تعي العقول به وح فلا يرد المتشابه لانه لا يتعلق به تكليف
لا يكلف الله نفسا الا وسعها على ان التحقيق ان الوقف على قوله تعالى
والراسخون في العلم فيعلمون تاويله ويعلمونه لغيرهم **قوله** اعي الورى الخ لما
اخبر المص فيما تقدم بعجز اللسان عن التعبير بعض اياته صلى الله عليه وسلم
بقوله فان فضل رسول الله ليس له حد الى اخره هنا بعجز العقول عن ادراك
كمالاته بقوله اعي الورى الخ والاعيا الاعجاز والورى الخلق وقوله فهم معناه
اي ادراك حقيقته صلى الله عليه وسلم مع ما خصه الله به من المعارف
الالهية والاسرار الربانية واسناد الاعيا الى الفهم مجاز عقلي لان الذي
اعياهم انما هو الله تعالى وقوله فليس يرى الخ تفريع على قوله اعي الورى الخ
وفي ليس ضمير الشان وهو مفسر بما بعده كما هو القاعدة وترى بالبنا
للمفعول وهي بصرية وفي القرب والبعد متعلق بترى وفيه متعلق
بمنفحم

بمنفحم وفي بمعنى عن والضمير المتصل بها راجع لفهم معناه وقوله غير منفحم
نائب فاعل يرى والمنفحم العاجز **وحاصل** المعنى انه عجز الخلق
فهم حقيقته فليس يبصر شخص غير عاجز عنه في القرب والبعد منه صلى الله
عليه وسلم والمتبادر ان المراد القرب والبعد بحسب المكان اي فليس
يرى في المكان القريب والمكان البعيد منه صلى الله عليه وسلم غير عاجز
عن ادراكه ويحتمل ان المراد القرب والبعد بحسب الزمان اي فليس يرى
في الزمان القريب والزمان البعيد منه صلى الله عليه وسلم غير عاجز عن ادراكه
ويحتمل ايضا ان المراد القرب والبعد في المعنى فاهل الباطن الناظرون له
صلى الله عليه وسلم في عالم الشهود تنقطع بصائرهم عن ادراكه صلى
الله عليه وسلم لقوة اشراقه عليه الصلاة والسلام مع قربهم منه صلى الله
عليه وسلم واهل الظاهر الناظرون له صلى الله عليه وسلم في عالم الحس
لا يدركون الا شخصا مصورا وجسما مقدرا لبعدهم منه صلى الله عليه وسلم
قوله كالشمس الخ اي هو كالشمس الخ فهو خبر لمبتدا محذوف والمقصود تشبيهه
صلى الله عليه وسلم بالشمس في انه لا يحاط بكنهه وحقيقته في حالتي
القرب والبعد كما وضح ذلك المص بقوله تظهر للعينين الخ لانه قصد بذلك
تبيان وجه الشبه وقوله من بعد اي في حالة البعد فمن بمعنى في وبعد
بضمتين كما هو لغة في بعد بضم البا وسكون العين وقوله صغيرة اي
حال كونها صغيرة بقدر المراة مثلا فهو حال من فاعل تظهر وقوله وتكل
الطرف بضم التا وكسر الكاف من تكل وسكون الرا من الطرف وتعيي البصر
وتضعفه لقوة شعاع نورها وهذا هو الاقرب وقيل لعظم جرمها
فانه قيل انها قدر كرة الارض مائة مرة ونيفا وستين مرة فلا يمكن
الطرف ان يحيط بها وقوله من امم اي في حالة القرب فمن بمعنى في والامم بفتح
الهمزة القرب والمراد القرب منها فرضا فهو فرضي فقط واما بعدها فهو
واقع مطلقا وقيل ان البعد يكون في حال طلوعها وغروبها والقرب
يكون في غير ذلك والاول اقرب ولذلك اقتصر عليه بعض الشارحين **قوله**

وكيف يدرك اي هذا البيت في قوة التعليل لقوله اعمى الورى فهم معناه اي وكيف
للاستفهام الانكاري وهو بمعنى النفي اي لا يدرك اي واحترز بقوله في الدنيا عن الاخرة
فانهم يدركون فيها حقيقته صلى الله عليه وسلم لانه يحصل لهم اذ ذاك الانتباه
ويكمل نور ابصارهم وبصائرهم فيدركون الحقائق والدقائق والاسرار
فيظهر لهم حق قدرته صلى الله عليه وسلم ومنزلته ولذلك قد رواح على روية الحق
سبحانه وتعالى فعدم رؤيتهم له تعالى في الدنيا لضعف قواهم وكونها عرضة
للفنا فاذا رزقوا قوى قوية مثبتة راوا الباقي والمراد بحقيقته صلى الله
عليه وسلم قدره ومنزلته وقوله قوم نيام اي قوم غافلون عن النظر في حقيقته
صلى الله عليه وسلم وهذا وصف لازم لا مختص كما يوخذ من قوله صلى الله
عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا والمراد بالقوم جميع الورى
وقوله تسلوا عنه بالحلم بضم اللام كما هو لغة في الحلم بسكونها اي اكتفوا عن
النظر في حقيقته تفصيلا بما يشبه الحلم مما ادركوه بالخبر جملة كذا يوخذ من
كلام بعض الشارحين ويحتمل انه على ظاهره من انهم اكتفوا عن النظر في حقيقته
بما يرونه في منامهم ان صحت لهم رويته في النوم وقد اقتصر على هذا بعض الشارحين
والاصح ان رويته صلى الله عليه وسلم في النوم حق وان روي على غير هيئته التي
كان عليها في الدنيا لحديث من راني فقد راني حقا وقيل لا تكون حقا الا
ان روي على هيئته الشريفة قوله فمبلغ العلم فيه اي هذا البيت مفرع
على قوله اعمى الورى فهم معناه اي فيترتب على ذلك ان ما يبلغه علم الناس
في حقه صلى الله عليه وسلم انه بشر لا اله ولا ملك وانه خير مخلوقات الله كلهم
انسا وجنا وملكا وغيرهم وقوله فيه اي في حقه من حيث الذات ومن حيث
الصفات وقوله انه بشر راجع للذات وقوله وانه خير خلق الله كلهم راجع
للصفات فعلم من ذلك القصور عن ادراك الكنه في الجانبين والبشر اسم
لبني ادم سموا بذلك لبدو بشرتهم وهي ظاهر الجلد وخير اصله اخير حذفت
منه الهمزة لكثرة الاستعمال ثم نقلت حركة اليا للخا فصار خير فهو افعل
تفضيل ولذلك لا يثنى ولا يجمع واما قوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين

الاختيار

الاختيار فالمجرور فيه خير مخفف خير بالتشديد والخلق بمعنى المخلوقات على سبيل
المجاز المرسل بحسب الاصل لكنه صار حقيقة عرفية قوله وكل اي في الرسل اي اي
وكل المعجزات التي اتى بها الرسل الكرام لاممهم فلم تتصل بهم الا من معجزاته صلى الله عليه
وسلم او من نوره الذي هو اصل الاشيا كلها فالسموات والارض من نوره والجنة
والنار من نوره ومعجزات الانبيا من نوره وهكذا فالاي بمعنى المعجزات جمع اية
بمعنى المعجزة والرسل بسكون السين وتبعا لغير غير النظم رسل بضمها جمع رسول
والكرام جمع كريم وقوله بها متعلق باتى والضمير راجع للاي وانما اتصلت
والمراد بنوره معجزاته وسميت نورا لانه يهتدى بها ويصح حمله على النور المحمدي
الذي هو اصل المخلوقات كلها كما حمل عليه بعض الشارحين ومن للابتدا
والبا للالصاق لا يقال كيف تكون المعجزات التي اتى بها الرسل الكرام لاممهم
من نوره صلى الله عليه وسلم مع انهم متقدمون عليه في الوجود لانا نقول هو
صلى الله عليه وسلم متقدم على جميع الانبيا من حيث النور المحمدي قوله فانه شمس
فضل اي هذا البيت تعليل للبيت قبله والمعنى على التشبيه اي فانه كالشمس
في الفضل وقوله هم كواكبها اي الرسل كواكب الشمس والمعنى على التشبيه ايضا اي مثل
كواكبها ووجه التشبيه فيهما ان الشمس جرم مضي بذاته والكواكب اجرام غير
مضيئة لذاتها لكنها صقيلة تقبل الضوء فاذا كانت الشمس تحت الارض
فاض نورها من جوانبها فيطلب الصعود لان النور يطلب مركز العلو فيما اذ
اجرام الكواكب الصقيلة المقابلة له فيرتسم فيها فتضي في الظلمات وتظهر
انوار الشمس فيها للناس من غير ان ينقص من نور الشمس شي فيظهر واذ كان النور
في الكل التشبيه بالظلم فلذلك قال المص يظهرن انوارها للناس في الظلم
وكما ان الشمس اذا بدت لم يبق اثر الكواكب فكذلك شريعته صلى الله عليه وسلم
لما بدت نسخت غيرها من سائر الشرائع كما سيشير لذلك قوله في بعض النسخ
حتى اذا طلعت في الافق عم هداها العالمين واحيت سائر الامم
وظاهر هذا البيت انه صلى الله عليه وسلم مرسل للامم السابقة لكن بواسطة الرسل
فهم نواب عنه صلى الله عليه وسلم وبهذا قال الشيخ السبكي ومن تبعه اخذا من قوله تعالى

[illegible]

واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والذي عليه الجمهور انه صلى الله عليه وسلم مرسل لهذه الامة دون الامم السابقة فالمسئلة خلافية والحق الاول قوله اكرم بخلق نبي الخ اي ما اكرم خلق نبي الخ فاكرم فعل تعجب لفظه لفظ الامر ومعناه الخبر وفاعله ظاهر وهو الخلق بفتح الخاء وسكون اللام لكن دخلت عليه الباء الزائدة لتحسين اللفظ وقوله زانه خلق اي حسنه خلق بضم الخاء واللام بمعنى زاده حسنا قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال انس كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وقوله بالحسن مشتمل بالبشر متسم اي متصف بالحسن فاشتماله به من اشتمال الموصوف بالصفة متصف بالبشر وهو بكسر الباء وسكون الشين المعجمة بشاشة الوجه وطلاقة والاتسام الاتصاف ولا يخفى ان قوله بالحسن متعلق بمشتمل وهو بالجر على انه صفة لنبي فهو من باب الوصف بالمفرد بعد الوصف بالجملة وكذا يقال في قوله بالبشر متسم وحاصل المعنى ما احسن صورة نبي حسنه خلق متصف بالحسن متصف بالبشاشة وطلاقة الوجه قوله كالزهر في ترف الخ صفة رابعة لنبي وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالزهر في الترف وبالبدر في الشرف راجع الى صورته الشريفة وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالبحر في الكرم وبالدهر في الهمم راجع الى الخلقة الكريمة والزهر نور النبات بفتح النون والترف بفتح التاء المثناة الفوقية والراء المهملة النعومة قال انس ما مسست حريرا ولا ديباجا الين من كف النبي صلى الله عليه وسلم والبدر هو القمر ليلة كماله وهي ليلة اربعة عشر وانما سمي في تلك بدرا لانه يبدر الشمس بالطلوع والشرف بفتح الشين المعجمة والراء المهملة العلو وشرف البدر على سائر الكواكب الليلية وشرف النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق وكرم البحر مذكور في قوله تعالى وهو الذي سخر لكم البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وكرم النبي صلى الله عليه وسلم مذكور في الاحاديث الكثيرة منها حديث انس قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام اي لاجل الاسلام شيئا

الا

٣٧

الا اعطاه اياه قال فسأله رجل غنما بين جبلين فاعطاه اياها فاتى قومه فقال يا قوم اسلموا فوالله ان محمدا ليعطي عطاء من لا يخاف الفقر والدهر الزمن والهمم جمع همة وهي العزم على الشيء والارادة له ونسبة الهمم الى الدهر على عادة العرب فانهم يجعلون للدهر عزمات وارادة ويشبهون الممدوح به في تلك العزمات والارادة وسبب ذلك ان الحادثات الدهية انما تقع في الدهر فينسبونها اليه على سبيل المجاز العقلي كقولهم نهاره صائم وليله قائم ولقد غلى اي تجاوز الحد من قال

له همم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى اجل من الدهر
له راحة لو ان معشار عشرها ... على البر كان البر اقوى من البحر

ووجه الغلو اي مجاوزة الحد انه اثبت لممدوحه هِمما صغرى وكبرى وجعل همته الكبرى لا منتهى لها وجعل همته الصغرى اجل من الدهر اي من همم الدهر والمص جعل همم النبي مثل همم الدهر فيلزم من ذلك ان همم الممدوح اجل من همم صلى الله عليه وسلم وهو باطل وبعضهم نسب هذين البيتين لحسان يمدح بهما النبي صلى الله عليه وسلم وعليه فلا غلو لانه صلى الله عليه وسلم كان كذلك وهذا ابلغ في مدحه صلى الله عليه وسلم من كلام الناظم لكنه لم يوجد ذلك فيما جمع من شعر حسان قوله كانه وهو فرد الخ صفة خامسة لنبي وكان للتشبيه والضمير اسمها وجملة وهو فرد حال من المفعول في تلقاه فالواو للحال ومن جلالته اي من اجل جلالته فهو تعليل للتشبيه المستفاد من كان وحين تلقاه كما هو معنى كان من التشبيه وقوله في عسكر وفي حشم خبر كان وتقدير البيت كانه حين تلقاه وهو فرد في عسكر وفي حشم من اجل جلالته وقصد المص تشبيهه صلى الله عليه وسلم وهو منفرد بنفسه اذا كان في عسكر وفي حشم وهو صلى الله عليه وسلم اذا كان في عسكر وفي حشم له هيبة ووقار فكذلك وهو منفرد فيكون له ايضا هيبة ووقار من اجل جلالته العظيمة والعسكر الجيش والحشم بفتح الحاء والشين المعجمة الخدم والخطاب في تلقاه لكل من يصلح للخطاب وحكي ان بعضهم

راى في المنام ان الصديق رضي الله عنه يزف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا البيت
والذي بعده **قوله** كانما اللؤلؤ المكنون في صدفه سادسة لبيتي وقد جرى
المص في البيت السابع وهو قوله كالزهر في ترف اى على ما جرت به العادة
في التشبيه وجرى في هذا البيت على عكسه لانه شبه اللؤلؤ المكنون
في صدفه بكلامه وثغره صلى الله عليه وسلم اللذين يبرزان من معدني منطقه
ومبتسمه والاصل ان يشبه كلامه وثغره صلى الله عليه وسلم اللذان يبرزان
من معدني منطقه ومبتسمه باللؤلؤ المكنون في صدفه بجامع الحسن
في كل فالمص عكس التشبيه كما في قول الشاعر

وبدا الصباح كان غرته • وجه الخليفة حين يمتدح

وفي ذلك اشارة الى ان الفرع لقوة وجه الشبه فيه صار اصلا والاصل
لضعف وجه الشبه فيه صار فرعا ويسمى التشبيه المقلوب وهو ابلغ في المدح
واللؤلؤ هو الدر المسمى بالجوهر والمكنون المصون وفي صدف متعلق بالمكنون
والصدف المحار الذي يتولد فيه وهو وعاء له يحفظه حتى ينشق عنه
كما ان القلب وعاء للكلام النفسي حتى يبرزه اللسان وكما ان الشفتين
المنضمتين على الثغر كالوعاء له وانما قيد اللؤلؤ بالمكنون في صدف لانه
يكون في الصدف احسن منظرا منه خارج الصدف والاضافة في معدني
منطق منه ومبتسم للبيان اي معدنين هما منطق منه ومبتسم ويصح ان
تكون من اضافة المشبه به للمشبه اى من منطق ومبتسم شبيهين بالمعدنين
والمنطق محل النطق وهو راجع لكلامه صلى الله عليه وسلم والمبتسم بفتح السين
محل الابتسام لا بكسرها خلافا لبعض الشارحين وهو راجع لثغره صلى
الله عليه وسلم اللذان يبرزان من معدني منطق منه ومبتسم وفي كلامه
الحذف من الثاني لدلالة الاول اي ومبتسم منه **قوله** لا طيب يعدل اى لما
مدحه صلى الله عليه وسلم بما اتصف به من المحاسن قبل مفارقته الدنيا مدحه
بما اتصف به من المحاسن بعدها فقال لا طيب الخ والطيب ما يتطيب به
من مسك ونحوه والترب بسكون الراء لغة في التراب والضم الجمع والاعظم جمع عظم

وطوبى

وطوبى اما مصدر بمعنى التطيب واسم لشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة
عام ولا يقطعها وعلى الاول فهو بدل من اللفظ بفعله وهو طاب والاصل طاب
المنتشق والملتثم فحذف الفعل واتي بالمصدر بدلا من التلفظ به وزيدت
اللام لتبيين الفاعل وعلى الثاني فهو مبتدا خبره ما بعده وعلى كل فيحتمل
انه اخبار وانه دعا **وحاصل** المعنى لا طيب يساوي التراب الذي
جمع الجسد الشريف وهو تراب قبره صلى الله عليه وسلم تطيب او الشجرة التي
في الجنة لمنتشق منه وملتثم على التفسيرين السابقين فطوبى ولما كان
الطيب يستعمل على وجهين تارة يستعمل بالشم وتارة يستعمل بالتضمخ
اشار للاول بقوله لمنتشق وللثاني بقوله وملتثم والمراد بالملتثم هنا
المقر موضع اللثام وهو الوجه وليس المراد المقبل اخذا من الالتثام
وهو التقبيل لان تقبيل القبر الشريف وكذا ما فيه من التراب مكروه ومعلوم
ان طيب التراب المذكور انما سرى له من طيبه صلى الله عليه وسلم الذي هو
اعلى انواع الطيب ولذلك قال انس ما شممت عنبرا ولا مسكا ولا شيا
اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان اطيبية ذلك التراب يحتمل
انها باعتبار ما عند الله تعالى ويحتمل انها باعتبار ما عند غيره ايض
لكن لا يدرك ذلك الا من كشف له العظام من الاولياء المقربين لان احوال
القبر من الامور التي لا يدركها الا من ذكر فاندفع ما يقال لو كان التراب المذكور
من الطيب لزم ان يدرك طيبه كل احد كالمسك فانه يدرك طيبه كل
احد على انه لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراك كل احد له لجواز انتفاء شرط
او وجود مانع وعدم الادراك لا يدل على انتفاء المدرك الا ترى ان
المزكوم لا يدرك رائحة المسك مع انها قائمة به وقد قال عليه الصلاة
والسلام القبر اول منزل من منازل الاخرة اما روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النار ولا شك ان قبره صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة
بل افضلها وقد قال ايضا عليه الصلاة والسلام ما بين قبري ومنبري روضة
من رياض الجنة وكل من القبر والمنبر داخل في حكم ما بينهما اما القبر فللخبر

العام الذي ذكروا واما المنبر فلقوله صلى الله عليه وسلم اخر الحديث ومنبري
على حوضي والحوض من الجنة واذا تقرر كون هذا المكان من الجنة لم يبق عند العاقل
المصدق بالشريعة امتراء في انه لا طيب لعدله وفي كلامه الحذف من الثاني
لدلالة الاول اي وملتثم منه كما تقدم في البيت السابق **قوله** ابان مولده الخ
الابانة الكشف والاظهار والمولد مصدر ميمي يصح لان يراد به الولادة
او زمانها او مكانها وعلى كل من الاحتمالات الثلاثة لا بد من تقدير مضاف والاصل
ابان ايات مولده وعن للتعدية والطيب الخلوص عما لا ينبغي في النسب
والعنصر بضم العين المهملة وسكون النون وضم الصاد وهو الاصل
والمراد اباؤه الذين تناسل هو منهم وقوله يا طيب الخ ندا للطيب على سبيل
التعجب لان العرب اذا استعظمت شيئا نادته على سبيل التعجب اي يا طيب
مفتتح اي احضر لنتعجب منك والمراد بالمفتتح بفتح التاء الثانية المثناة
من فوق ادم عليه السلام وبالمختتم كذلك سيدنا عبد الله خلافا
لما قاله بعض الشارحين من ان المراد بالمفتتح هاشم وبالمختتم النبي صلى الله عليه
وسلم لان افتتاح عنصره ليس بهاشم بل بادم واختتامه ليس بالنبي
صلى الله عليه وسلم بل بسيدنا عبد الله واذا تعجب من طيب المفتتح
والمختتم لزم ان يتعجب من طيب ما بينهما وفي بعض النسخ بدل المفتتح
المبتدا والضمير في قوله منه راجع للعنصر وفي كلامه الحذف من الثاني
لدلالة الاول اي ومختتم منه كما في البيتين قبله **وحاصل**
معنى البيت ظهرت وكشفت ايات مولده عن الخلوص بانه صلى الله
عليه وسلم عما لا ينبغي في النسب يا طيب مفتتح اي احضر لنتعجب منك ومن
ايات مولده صلى الله عليه وسلم ما ذكروه عن امه انها قالت لقد اخذني
الطلق واني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه يوم الاثنين فسمعت
وجبة اي سقطة هالتني ورايت كان جناح طير ابيض مسح فوادي
فذهب رعبي وكل وجع اجده وكنت عطشى فاذا بشربة بيضاء فشربتها
فاصابني نور عال الى اخر الحديث وقد ذكره بطوله القسطلاني **قوله**

يومئذ

٢٥

يوم اي اي هذا يوم الخ فهو خبر مبتدا محذوف والضمير راجع لمولده بمعنى زمان
الولادة فقط وان كان محتملا فيما تقدم للحدث وللزمان وللمكان وقوله تفرس
فيه الفرس اي ظهر لهم بطريق الفراسة بكسر الفاء وهي قوة يدرك بها الانسان
المعاني اللطيفة بسبب المخايلة الظاهرة بخلاف الفراسة بفتح الفاء فانها
الحذق في ركوب الخيل والفرس بضم الفاء وسكون الراء اهل مملكة فارس وكانوا
مجوسا يعبدون النار بعد رفع كتابهم حيث بدلوه وانما سموا فرسا لانه ولد
لابيهم بضعة عشر رجلا كل منهم شجاع فارس فسموا الفرس لذلك وقوله انهم
باسم اشباع وقوله قد انذروا اي اعلموا بالبنا للمجهول وقوله بحلول البوس
والنعم اي بنزول البوس والنعم بهم والجار والمجرور متعلق بانذروا والحلول
من حل يحل بالضم او بالكسر اذا نزل والبوس هو الشدة المؤثرة في القلب
الهم والحزن والنقم جمع نقمة وهي العقوبة والمراد بالبوس والنقم ما حصل
لهم من خراب ملكهم وتشتيت امرهم وتفريق قبايلهم وتمزيقهم كل ممزق
كما دعى عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم **وحاصل** المعنى
ان يوم ولادته صلى الله عليه وسلم ظهر للفرس فيه انهم انذروا بنزول
الشدة والعقوبات بهم حيث قارنه ما سيذكره المص من الارهاصات
المؤسسة لنبوته صلى الله عليه وسلم **قوله** وبات ايوان كسرى الخ عطف
على قوله تفرس الخ اي وبات في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ايوان كسرى
اي والايوان كديوان بنا يبني طولا غير مسدود الوجه يعده الملك
لجلوسه فيه لتدبير مملكته وقد كان سمك ذلك الايوان مائة ذراع
في مثلها ومكث في بنائه نيفا وعشرين سنة ولهذا كان يظن انه لا يهدمه
الا نفخة الصعق وقد اراد هارون الرشيد هدمه لما بلغه ان تحته مالا
عظيما فعجز عنه فابقاه على حاله وكسرى بكسر الكاف لقب لكل ملك من ملوك الفرس
والمراد به انوشروان بن قباد بن فيروز وقوله وهو منصدع اي والحال انه منشق
شقا بينا اشرف به على الهدم لا لخلل في بنائه بل ليكون اية من اياته صلى الله
عليه وسلم ومع انصداعه سقط منه اربعة عشر شرافة من شرافاته وكانت

اثنين وعشرين وقد روي انه لما ارتج ايوان كسرى وسقط منه الاربعة
عشر شرافة احزنه ذلك فوجه الى النعمان ملك العرب يستفسره عن
سر ما بدا فرفع النعمان الخبر الى سطيح وقد اشرف على الضريح وهو القبر فقال
يكون سبي وسبايات ويموت ملوك وملكات بعدد الشرفات ثم قضى سطيح
وقوله كشمل اصحاب كسرى بفتح الشين اي حالهم وقوله غير ملتئم خبر بات
وحاصل المعنى وصار ايوان كسرى والحال انه منصدع غير ملتئم كشمل اصحاب
كسرى فانه بات ايضا غير ملتئم بل تفرق ولم ينتفع لاحد مثل ما انتفع كسرى
في كثرة جيوشه واعوانه ولم يزالوا في تفرق وشتت حتى جاء بشائر الاسلام
قوله والنار خامدة الانفاس يجوز رفع الجزئين على الابتدا والخبر والعطف
ح من عطف الجمل لان هذه الجملة معطوفة على جملة قوله بات ايوان كسرى اي ويجوز
رفع الاول على انه معطوف على ايوان ونصب الثاني على انه معطوف على غير
ملتئم وهكذا يقال في قوله والنهر ساهي العين اي على لغة من اعرب المنقوص
نصبا كاعرابه رفعا وجرا والعطف ح من عطف المفردات والمراد من النار
نار الفرس التي كانوا يعبدونها وكان لها خدمة يوقدونها ولم تخمد قبل تلك
الليلة بالف عام وفي عبارة بعضهم بالفي عام ومعنى كونها خامدة الانفاس
كونها منطفأة اللهب مع بقا الجمر فخمود النار انطفا لهبها مع بقا جمرها واما
الهمود فانطفا لهبها مع جمرها والانفاس جمع نفس بفتح الفا والمراد به
هنا لهب النار على طريق الاستعارة التصريحية وقوله من اسف اي
من اجل اسف فمن للتعليل والاسف بفتح الهمزة والسين شدة الحزن
وقوله عليه متعلق باسف والاظهر ان الضمير المجرور بعلى راجع للايوان
وجوز بعض الشارحين ان يكون راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ووجه
ذلك بان ولادته صلى الله عليه وسلم سبب في ترك عبادتها وهذا من حسن
التعليل تعريضا بهم وهو ان يدعي لحكم علة مناسبة لكنها غير موافقة في الواقع
كما في قوله

وما نزل الغيث الا لكي ... يقبل بين يديك الثرى

وقوله

وقوله ساهي العين قد عرفت اعرابه والمراد بالنهر نهر الفرات الذي كان به
قوامهم وكان قد ضل الطريق ووقع في سماوة وهي بادية بين دمشق والعراق
والمراد بكونه ساهي العين انه ساكت العين التي هي مادته عن الجري على سبيل
الاستعارة ويحتمل ان في الكلام استعارة مكنية فيكون قد شبه النهر بانسان
ساهي العين تشبيها مضمرا في النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشي
من لوازمه وهو ساهي العين وقوله من سدم اي من اجل سدم فمن للتعليل والسدم
بفتح السين والدال الحزن وهذا من حسن التعليل ايضا وبعضهم جعل اثبات
الاسف للنار والسدم للنهر مجازا عقليا لتنزيل كل منهما منزلة العاقل وقد
تقرر انه من حسن التعليل فلا حاجة لذلك وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة
الاول اي من سدم عليه كما تقدم في نظائره قوله وساء ساوة اي وساء اهل
ساوة اي فهو على تقدير مضاف على حد قوله تعالى واسئل القرية اي اهلها
وساوة اسم لمدينة من مدن الفرس وهي بين همدان والري وقوله ان غاضت
بحيرتها فاعل بساء ومعنى غاضت بضاد معجمة وقيل بصاد مهملة غار ماؤها
وذهب بالمرة حتى ان لهب النار ينبع من قعرها كانما طبخت ارضها وكانت هذه
البحيرة بركة عظيمة تسير فيها السفن للبلاد التي على ساحلها وكان طولها
ستة اميال في مثلها عرضا وقيل ستة فراسخ في مثلها عرضا وقال البكري كان
طولها عشرة اميال وعرضها ستة وكان حولها بيع وكنايس فخربت ومن
ذلك يعلم ان التصغير فيها ليس للتحقير وقوله ورد واردها اي وان رد واردها
اي فهو معطوف على مدخول ان في قوله ان غاضت بحيرتها والباء في قوله
بالغيظ للملابسة او المصاحبة اي ملابسا للغيظ او مصاحبا له والجار
والمجرور متعلق برد وقوله حين ظما ظرف لواردها اي الذي يردها ويأتي
اليها ليستقي من مائها حين عطش وحاصل المعنى واحزن
اهل المدينة المسماة بساوة امران احدهما غيض مائها والثاني رد الذي
يردها ليستقي منها بالغيظ حين عطش قوله كان بالنار اي لا يخفى ان بالنار
خبر كان مقدم وما بالماء اسمها مؤخر والاصل كان ما بالماء بالنار وما

اسم موصول بمعنى الذي وقوله من بلل بيانٌ لما وقوله حزنا اي للحزن فهو علة
لقوله كان بالنار ما بالما من بلل وقوله وبالما ما بالنار من ضرم فيه ما تقدم
فيما قبله اي وكان بالما ما بالنار من ضرم والضرم الالتهاب وفيه الحذف من الثاني
لدلالة الاول عليه **وحاصل** المعنى ان النار التي خمدت تلك الليلة
صارت كان بها ما بالما من البلل فصارت مبتلة لحزنها وان الما الذي غاض
تلك الليلة صار كان به ما بالنار من الضرم لحزنه ايضا فكان ما بكل من نار فارس
وما بحيرة ساوة انتقل للآخر من الحزن وحصل للناظم من اوصاف الما البلل
دون البرودة مثلا ومن اوصاف النار الاضطرام دون الحرارة مثلا لان
البلل هو الذي يخرج النار عن حقيقتها بخلاف البرودة فانها لا تخرجها عن
حقيقتها قال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم والاضطرام
هو الذي يخرج الما عن حقيقته بخلاف الحرارة فانها لا تخرجه عن حقيقته
فانه يقال ما حار ولا يقال ما مضطرم لان الاضطرام يستلزم غاية اليبس
فان قيل الجمادات كلها لا توصف بالكفر بل معتقادة خاضعة كما قال تعالى
وان من شي الا يسبح بحمده فكيف يقول الناظم حزنا واللائق ان يكون ذلك
فرحا **اجيب** بان النار تحزن على نفسها من اجل انها لا توقد والما يحزن
على نفسه من حيث انه لا يجري فكل منهما شبيه بالحزين لاجل ذلك هذا
ان كان المراد حزن ذاتهما كما هو المتبادر وان كان المراد حزن اهلها فلا اشكال
لان اهلها يحزنون على تغيير ملكهم وتشتيت امرهم قوله والجن تهتف اذ
اي وصارت الجن تهتف في الجبال والاودية فمن ذلك ما جا انه حين
ولد صلى الله عليه وسلم هتف هاتف على الحجون وهو ينشد ويقول

فاقسم ما انثى من الناس انجبت ... ولا ولدت انثى من الناس واحده
كما ولدت زهرية ذات مفخر ... مجنبة لوم القبائل ماجده

ومنها ان هاتف سواد بن قارب انشده ابياتا ثلاث ليال فيها الحث على
المجي لرسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به وعظم مدحه والجن هم اولاد
ابليس كما ان البشر اولاد ادم وقيل الجن اولاد الجان فابليس ابو الشياطين

والجان ابو الجن والقول الاول اقوى والهتف قيل الصوت مطلقا وقيل
الصوت الخفي وقوله والانوار ساطعة اي والانوار التي خرجت معه صلى الله
عليه وسلم عند ولادته لامعة ظاهرة ففي الحديث عن امنة رضي الله عنها انها
قالت لما ولدته خرج من فرجي نور اضات له قصور الشام فولدته نظيفا ما به
قذر والى ذلك يشير عمه العباس رضي الله عنه بقوله

وانت لما ولدت اشرقت الارض ... وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضيا وفي النور ... وسبل الرشاد مخترق

وقوله والحق يظهر من معنى ومن كلم اي والحق الذي هو امره صلى الله عليه وسلم من
نبوته ورسالته يظهر من معنى كالانوار ومن كلم كهتف الجن ففي ذلك مع قوله
والجن تهتف والانوار ساطعة لف ونشر مشوش قوله عموا وصموا الى هذا
البيت واقع في جواب سوال مقدر فكان شخصا قال له اذا كان الحق يظهر من
معنى ومن كلم فما بال الكفار جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم فاجابه المصنف بانهم
عموا وصموا الخ فالضمير راجع للكفار فلكونهم لم ينتفعوا بما شاهدوه من المعنى
ولا بما سمعوه من الكلم حيث جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم مع كون الحق يظهر
من معنى ومن كلم كانهم عموا عن مشاهدة المعنى كالانوار وصموا عن سماع الكلم
كهتف الجن ففي ذلك مع قوله والحق يظهر من معنى ومن كلم لف ونشر مرتب
وقوله فاعلان البشائر لم تسمع اي فاظهار البشائر به صلى الله عليه وسلم كهتف
الجن لم تسمع لهم سماع قبول وهذا مرتب على قوله وصموا وانما قال لم تسمع
بالتا الفوقية لان المضاف اليه اكسب المضاف التانيث وقوله وبارقة
الانذار لم تشم اي ولامعة الانذار المتعلق به صلى الله عليه وسلم اي تخويفهم به
كالانذار لم تنظر لهم نظر قبول فالمراد بالبارقة اللامعة وهي في الاصل اسم
للسيف اللامع يقال بيده بارقة اي سيف لامع والمراد بقوله لم تشم لم تنظر
يقال شام البرق نظر فيه وهذا مرتب على قوله عموا ففي ذلك مع قوله عموا
وصموا لف ونشر معكوس قوله من بعد ما اخبر الاقوام متعلق بقوله عموا وصموا
وفي ذلك غاية التقبيح بهم حيث جحدوا من بعد ما علموا حقيقة الحال من كاهنهم

الذي كانوا يصدقونه ويتبعونه فيما يقوله وما مصدرية فهي اول الفعل بعدها
لمصدر و الاقوام مفعول مقدم وكاهنهم فاعل مؤخر والكاهن من كان له تابع
من الجن يخبره بخبر السما لاستراقه السمع فيجد ثم يذكر لكنه يزيد على الكلمة الحقة
مائة كذبة وقوله بان دينهم المعوج لم يقم اي بان ما هم عليه من الدين المعوج
لاستماله على عبادة الاصنام لا قيام له مع وجوده صلى الله عليه وسلم والمراد انه
اخبرهم بما يفيد ذلك لانه اخبرهم بانه يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهاب
دينهم المعوج قوله وبعد ما عاينوا اي ومن بعد ما عاينوا الخ فهو معطوف على
بعد في قوله من بعد ما اخبر الخ فيقرا لفظ بعد بالجر نظرا للفظ ويصح قرائته بالنصب
نظرا لمحل الجار والمجرور وما موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف والتقدير
عاينوه اي شاهدوه وابصروه وقوله في الافق بسكون الفا كما هو لغة في الافق
بضمها والمراد به هنا السما لا حقيقته التي هي اطراف السما المماسة للارض
لعدم وجود الشهب في ذلك وقوله من شهب بيان لما عاينوه والشهب جمع
شهاب وهو شعلة من نار ساطعة وليس هو النجم كما قد يتوهم لانه لا ينقض ولا
يسقط وقوله منقضة اي ساقطة من السما على الشياطين الذين كانوا يسترقون
السمع من الملائكة ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ولم يكن للكفار عهد بمثل
ذلك وان كان لهم به عهد في الجملة وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع
من السموات كلها فلما ولد عيسى صلى الله عليه وسلم منعوا من ذلك ثلاث سموات
بسقوط الشهب عليهم ولما ولد صلى الله عليه وسلم زيد في حراسة السماء
فمنعوا من سائرها بسقوط الشهب عليهم بكثرة لكن كانوا يقعدون
في مقاعد قريبة من السماء بحيث يسمعون صريف الاقلام اي صوت اقلام الملائكة
التي تكتب ما يقع في العالم ولما بعث صلى الله عليه وسلم منعوا من ذلك بالشهب
ايضا كما قال تعالى حكاية عنهم وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع
الان يجد له شهابا رصدا وقوله وفق ما في الارض اي مثل ما في الارض في الانقضاض
والسقوط لان اصنام الدنيا اصبحت منكوسة تلك الليلة وما موصولة
بمعنى الذي وقوله من صنم بيان لما اي من جنس الصنم الصادق بالكبير والصنم

والوثن بمعنى واحد وقيل الصنم ما كان مصورا والوثن ما كان غير مصور وقيل
الصنم ما كان من حجر والوثن ما كان من غيره كنحاس قوله حتى غدا اي ولم
تزل الشهب تنقض الى ان غدا الخ فهو غاية لمحذوف وحتى بمعنى الى وغدا بمعنى
صار وقوله عن طريق الوحي متعلق بمنهزم الواقع اسما لغدا وطريق الوحي
هو السما والوحي الكلام الخفي والكتاب والاشارة والرسالة والالهام الى غير
ذلك والمنهزم الهارب وقوله من الشياطين بيان لمنهزم مسبوق بتبعيض
وقوله يقفو اثر منهزم اي يتبع اثر هارب اخر وحاصل المعنى
ولم تزل الشهب تنقض الى ان صار هارب من الشياطين عن السما التي هي
طريق الوحي يتبع اثر هارب اخر وهلم جرا قوله كانهم هربا الخ الضمير للشياطين
وهربا حال اي حال كونهم هاربين والابطال جمع بطل وهو الشجاع القوي
جدا وسمي بطلا لبطلان هم الشجعان عند ملاقاته او لان الدما تبطل عنده
فلا يؤخذ بثارها وابرهة بالصرف للضرورة والا فهو ممنوع من الصرف
للعلمية والعجمة ومعناه بلسان الحبشة ابيض الوجه والمراد به هنا
ملك اليمن والعسكر الجيش كما تقدم والحصا حجارة صغيرة صلبة والر حتان
بطن الكف وقوله رمي بالبنا للمجهول صفة لعسكر ويتعلق به كل من قوله
بالحصى وقوله من راحتيه والمقصود تشبيه الشياطين في حال هربهم
من الشهب بابطال ابرهة او بالعسكر الذي رمي بالحصا من راحتيه
صلى الله عليه وسلم والمصراع الاول اشارة الى قصة اصحاب الفيل والمصراع
الثاني اشارة الى غزوة بدر والى غزوة حنين على ما رواه مسلم من ان
رمي الحصى كان في غزوة حنين ولا مانع من تعدد الرمي واشار بقوله رمي
بالبنا للمجهول الى ان النبي صلى الله عليه وسلم وان باشر الرمي ظاهرا لكن
الرامي حقيقة هو الله تعالى قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى ولما رماه صلى الله عليه وسلم في وجوه الاعدا لم يبق منهم احد الا دخل التراب
في عينيه وانهزموا جميعا فتبعهم المسلمون يأسرونهم ويقتلونهم وحاصل
قصة اصحاب الفيل ان ابرهة راى الناس يتجهزون ايام الموسم للحج فقال اين

تذهبون فقيل يحجون ببيت الله بمكة قال وما هو قيل من الحجارة فقال والمسيح
لابنين لكم بيتا خيرا منه فبني لهم كنيسة من الرخام الاسود والاحمر والاصفر
وحلاها بالذهب والفضة وانواع الجواهر واراد صرف الحاج اليها ومنع الناس من
الذهاب الي مكة فلما اشتهر الخبر عند العرب خرج رجل من كنانة مغضبا
وتغوط فيها ولطخ قبلتها بالعذرة ولحق بارضه فاغرض ذلك ابرهة وحلف
ليهدمن الكعبة حجرا حجرا وكتب الي النجاشي يخبره بذلك وساله ان يبعث
اليه فيله فلما قدم اليه الفيل خرج في ستين الفا فلما بلغ المغمس بضم الميم الاولي
وفتح الغين المعجمة وتشديد الميم الثانية مفتوحة او مكسورة امر ابرهة رجلا
بالغارة الي مكة فمضي لها واستاق ابل قريش وغنمهم فهموا بقتاله ثم عرفوا
انهم لا يطيقون فتركوه ثم لما تهيا ابرهة لدخول مكة برك الفيل فضربوه
في راسه ليقوم فابي فوجهوه الي غير مكة فقام يهرول ثم وجهوه الي مكة
فبرك ثم ارسل الله عليهم الطيور الابابيل مع كل طائر ثلاثة احجار حجر في منقاره
والاخران في رجليه فذهبوا هاربين يتساقطون بكل طريق وكان الحجر يصيب
راس الرجل فيخرج من دبره ومن اسفل مركوبه والي هذه القصة اشار سبحانه
وتعالي بقوله الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الي اخر السورة **قوله** نبذا اي
اي نبذه النبي صلي الله عليه وسلم نبذا اي فنبذا مصدر منصوب بفعل
محذوف من لفظه او منصوب بقوله رمي في البيت قبله فيكون العامل
فيه موافقا له في المعني كما في قولك جلست قعودا وقوله به اي بالحصي
وهو متعلق بنبذا وقوله بعد تسبيح ببطنهما اي بعد تسبيح الحصا في بطن
الراحتين الشريفتين بمعني الكفين وظاهر كلام المص ان الحصي الذي رمي به سبح
في كفه صلي الله عليه وسلم وكان الناظم وقف علي ذلك او ان قصد التسبيح الثابت
في غير ذلك كما رواه انس حيث قال اخذ النبي صلي الله عليه وسلم كفا من حصي
فسبح في كفه حتي سمعنا التسبيح ثم وضعه في يد ابي بكر فسبح ايضا ثم في يد
عمر فسبح ايضا ثم في ايدينا فما سبح وبذلك اندفع ما اعترض به بعضهم علي المص
من انه لم يثبت ان الحصي الذي رمي به في يوم بدر او حنين سبح في كفه قبل

ان يرمي به وقوله نبذ المسبح من احشا ملتقم اي كنبذ المسبح الذي هو يونس
عليه السلام من احشا الملتقم له والاحشا ما انضمت اليه الاضلاع وقيل الامعا
والملتقم له هو الحوت قال الله تعالي فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الي يوم يبعثون فنبذناه بالعرا وهو سقيم ام فالتقمه بلعه
الحوت وهو ات بما يلام عليه من ذهابه الي البحر وركوبه السفينة بلا اذن من ربه
فلولا انه كان من الذاكرين بقوله كثيرا في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين لصار بطن الحوت له قبرا الي يوم القيامة فالقيناه من بطن
الحوت بوجه الارض بالساحل من يومه او بعد ثلاثة او سبعة ايام او عشرين
او اربعين يوما وهو عليل كالفرخ الممعط وقال تعالي فنادي في الظلمات ان لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اي فنادي في الظلمات الثلاث ظلمة الليل
وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت بان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
في ذهابي من بين قومي من غير اذن ومراد المص التشبيه به في ان كلا امر خارق
للعادة وفي كلامه من المحسنات البديعية الاستتباع لانه لما تكلم علي
انقضاض الشياطين وتشبيههم في حال هزيمتهم بابطال ابرهة او بالعسكر
الذي رمي بالحصي من راحتيه الشريفتين استتبع الكلام علي تسبيح الحصا
بكفه صلي الله عليه وسلم وحقيقة الاستتباع ان يضمن كلام سيق لمعني
اخر كما في قول ابن نباتة

ولابد لي من جهلة في وصاله ۞ فمن لي بخل اودع العلم عنده

فانه سيق للاخبار بكونه حليما وضمنه الشكاية بانه ليس في الاخوان
من يصلح لايداع العلم عنده **قوله** جاءت لدعوته الاشجار الخ اي اتت لطلبه الاشجار
اي فالمجيء الاتيان والدعوة الطلب والاشجار جمع شجرة وقوله ساجدة حال
من الاشجار والمراد بالسجود هنا معناه اللغوي وهو الخضوع وجملة قوله
تمشي اما حال من الاشجار فتكون حالا مترادفة او من الضمير في ساجدة
فتكون حالا متداخلة وقوله علي ساق متعلق بتمشي والساق ما تحت
الفروع من الشجرة وقوله بلا قدم صفة للساق او متعلق بتمشي واشار بذلك

لما روي ان اعرابيا سال النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول
الله يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها خلفها حتى قطعت عروقها
ثم جاءت تجر عروقها في الارض فوقفت بين يديه وقالت السلام عليك يا رسول
الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فامرها فرجعت ودلت عروقها في منبتها
فاستوت فيه وفي بعض الروايات فقال الاعرابي ائذن لي ان اسجد لك فقال صلى
الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها قال
فاذن لي ان اقبل يديك ورجليك فاذن له وانما لم ياذن له صلى الله عليه وسلم بالسجود
ايذانا بان السجود لا يكون الا لله لان مكانه الدين عظيم لما فيه من غاية الخضوع
ومن ذلك ما رواه مسلم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب يقضي حاجة
الانسان فنظر فلم يجد شيئا يستتر به واذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق
الى احدهما فاخذ ببعض اغصانها فقال انقادي معي باذن الله تعالى فانقادت
معه حتى اتى الشجرة الاخرى فاخذ ببعض اغصانها فقال انقادي معي باذن الله
فانقادت معه حتى اذا كان بالمنصف مما بينهما وقال لهما التئما علي باذن الله
فالتئمتا حتى بعد انقضاء حاجته افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق
قوله كانما سطرت الخ هذا البيت لبيان اعتدالها في مشيها العجيب وسلوكها
السنن المستقيم والمعنى كانما سطرت تلك الاشجار في حال مشيها سطرا للذي
كتبته فروعها وهو الخط البديع اي الذي لم يعهد مثله المرسوم في اللقم بفتح اللام والقاف
اي وسط الطريق لكونها مشت مشي استقامة فلما لم يكن في مشيها ميل ولا عوج
شبه مشيها ذلك الوجه بتسطير الكاتب سطرا مستقيما لكتب عليه وعلم من ذلك
ان ما في قوله لما كتبت موصولة والعائد محذوف ومن للبيان والاضافة في قوله
بديع الخط من اضافة الصفة للموصوف وقد شبه اثر فروعها في الارض المفيد
للمعتبر كالاعرابي السابق بالخط الدال على اللفظ المفيد للمتدبر للمعاني على طريق
التصريح قوله مثل الغمامة الخ اي هي مثل الغمامة الخ فهو بالرفع خبر لمبتدا محذوف
ويصح قراءته بالنصب على انه حال من الاشجار اي حال كونها مثل الغمامة الخ والمراد
انها مثلها في الانقياد له صلى الله عليه وسلم معجزة واية لرد المعارض فقد انقادت له عليه

الصلاة والسلام الاعالي والاسافل فالاشجار من الاسافل والغمامة من الاعالي
لانها السحابة وقوله انى سار سائرة فانى بمعنى في اي موضع او بمعنى كيف وعلى كل
فسائرة بالرفع خبر لمبتدا محذوف ويصح نصبه على انه حال من الغمامة وجملة
تقيه الخ خبر ثان على الاول وحال ثانية على الثاني وقوله حر وطيس اي حر
الشمس المشبهة بالوطيس في الحرارة فالوطيس في كلام المص مستعار للشمس
على طريق الاستعارة التصريحية وان كان في الاصل هو التنور وقوله للهجير
اي عند الهجير فاللام بمعنى عند وهو ظرف لحر وطيس او لقوله تقيه والهجير
والهاجرة بمعنى واحد وهو وسط النهار اذا كان حارا وقوله حمي يصح جعله فعلا
ماضيا فتكون الجملة صفة لوطيس او في موضع الحال من الهجير اي حال كونه قد
حمي وتكون حالا مؤكدة لما علمت من معنى الهجير ويصح جعله اسم فاعل بمعنى حامي
فيكون نعتا للوطيس او للهجير وتكون وصفا كاشفا وهذا البيت
اشارة الى ما روي من ان ابا طالب خرج الى الشام ومعه النبي صلى الله
عليه وسلم في اشياخ من قريش الى ان اشرفوا على بحيرا الراهب وكان في صومعته
فنزلوا عنده وحطوا رحالهم وكانوا يمرون به قبل ذلك فلا يخرج اليهم
وفي هذه المرة خرج اليهم وجعل يتخللهم حتى جاء للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال هذا سيد العالمين هذا سيد المرسلين هذا رسول الله يبعثه
رحمة للعالمين فقال له اشياخ قريش وما اعلمك بهذا فقال انكم اشرفتم
من مكة والغمامة تظله فوق راسه ولم يبق حجر ولا شجر الا خر له ساجدا ولا
يسجدون الا لنبي واني لاعرفه بخاتم النبوة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما
اتاهم به كان صلى الله عليه وسلم في رعاة الابل فارسلوا له فاقبل وعليه غمامة
تظله فلما جلس وكانوا قد سبقوه الى في الشجرة مالت عليه فقال انظروا
الى في الشجرة مال اليه قوله اقسمت بالقمر الخ اي اقسمت برب القمر الخ لان
اهل الشرع يمنعون الحلف بغير الله تعالى وان جرت عليه عادة الادباء
لكن محل المنع في حقنا واما في حقه تعالى فله ان يحلف بما شاء من مخلوقاته
لانها منار قال تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها الاية وانما عبر

بالماضي دون المضارع اشارة الى ان اعتقاده مطوي عليه منذ عقل وقوله
المنشق اي الذي انشق اية له صلى الله عليه وسلم لان اهل مكة سالوه اية
فاراهم انشقاق القمر فلقتين فكانت فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا فقال كفار قريش قد سحرنا محمد فابعثوا الى
اهل الافاق حتى ينظروا هل راوا مثل هذا فاخبر اهل الافاق انهم راوه منشقا
فقال كفار قريش هذا سحر مستمر فنزل قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وجملة قوله ان له اي جواب القسم
والضمير الاول للقمر المنشق والضمير الثاني للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله
من قلبه متعلق بنسبة وقدمه عليها للاهتمام ومن بمعنى الباء والمراد بالنسبة
المناسبة والمشابهة في الانشقاق اما انشقاق القمر فقد علمته واما انشقاق
قلبه الشريف فقد وقع اربع مرات وقد جمعها بعضهم في قوله

وشق صدر المصطفى وهو في ... دار بني سعد بلا مرية

كشقه وهو ابن عشر ير في ... ليلة المعراج وعند البعثة

وزيد خامسة عند عشرين سنة لكنها لم تثبت وقوله مبرورة القسم اي ان القسم
عليها مبرور فيه يقال بر في يمينه اي الصادق فيها والمتبادر انه صفة للنسبة
لكن جعلوه صفة لموصوف محذوف دل عليه السياق والتقدير يمينا مبرورة
القسم وفيه شيء لان اليمين بمعنى القسم فيصير التقدير قسما مبرور القسم
ولا يخلو عن ركة الا ان يقال انه من باب الاظهار في مقام الاضمار وقد علمت
ما فيه الغنية عن ذلك قوله وما حوى الغار الخ اي واذكر ما حوى الغار الخ اي
واقسمت بما حوى الغار الخ وعلى الثاني فجواب القسم معلوم مما قبله والغار
نقب في الجبل وكان في جبل ثور باسفل مكة وقوله من خير ومن كرم بيان لما
حوى الغار وظاهره ان المراد نفس الصفتين من غير تقدير مضاف وعليه فما
باقية على معناها كما ذكره بعضهم والاظهر جعله على حذف مضاف اي من
ذي خير ومن ذي كرم وعلى هذا فما بمعنى من لان ما لغير العاقل ومن للعاقل
والمراد بالخير الاخلاق الحميدة وبالكرم الجود فهما متغايران لا اعم والاخص

وكل

وكل منهما الكل من النبي صلى الله عليه وسلم ومن ابي بكر ويحتمل ان الاول للنبي صلى
الله عليه وسلم والثاني لابي بكر وعلى هذا فانما خصه بالكرم لانه اثر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وماله ولذلك لما اتيا الى الغار تقدم ابو بكر
في الدخول لاحتمال ان يكون فيه ما يؤذي فيتلقاه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم يجد شيئا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع راسه في حجر ابي بكر
وكان هناك جحر فيه حيات وافاعي فخشي ابو بكر ان يخرج منه شيء يؤذي النبي
صلى الله عليه وسلم فالقمه قدمه فجعلت الحيات والافاعي تضربنه وتلسعنه
ولم يتحرك مخافة ان يوقظ النبي صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا بكر ما يبكيك قال لدغت فتفل
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده لكن كان يعاوده ذلك
حتى كان سبب موته على المشهور وفي بعض التواريخ انه مات بسم اخر
لانه اكل مرة مع اعرابي فقال له الاعرابي ارفع يدك يا خليفة رسول الله فان
هذا الطعام فيه سم سنة وانا وانت نموت في يوم واحد وكان كذلك وقوله
وكل طرف الخ اي والحال ان كل طرف الخ فالواو للحال والطرف بسكون الراء هو البصر
وقوله عنه اي عن ما حوى الغار وقوله عمي يحتمل جعله فعلا وجعله اسما
وقد لبث النبي وابو بكر في الغار ثلاث ليال وجاء الكفار حول الغار ينظرون
فاعماهم الله تعالى قال ابو بكر نظرت الى اقدامهم فوق رؤوسنا فقلت يا رسول
الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا فقال ما ظنك باثنين الله
ثالثهما وفي التنزيل ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان
الله معنا قوله فالصدق الخ اي فذو الصدق الخ فهو على حذف مضاف او يؤول
الصدق بالصادق او يحمل على باب المبالغة وقوله والصديق اي في الغار
ففيه الحذف من الثاني لدلالة الاول وقوله لم يرما بكسر الراء اي لم يبرحا واصله
لم يريما حذفت منه الياء تبعا لحذفها في اسناده الى المفرد كما في قوله زيد
لم يرم فان اصله يريم حذفت منه الياء مع الجازم لالتقاء الساكنين
وقوله وهم يقولون الخ اي والحال انهم يقولون الخ والضمير راجع للكفار

المعلوم من انه قيام وجملة قوله ما بالغار من ارم مقول القول وارم بفتح
الهمزة وكسر الرا بمعنى احد وهو مبتدا خبره الجار والمجرور قبله ومن زائدة
وانما قالوا ذلك لكونهم راوا حوم الحمام حول الغار ونسج العنكبوت على
فمه فظنوا انهما ليسا فيه كما اشار اليه الناظم بالبيت بعد هذا وذلك انه
تقدم رجل منهم فنظر حمامتين على فم الغار فقال ليس في الغار شيء رايت حمامتين
على فم الغار فعرفت انه ليس فيه احد فقال رجل اخر ادخلوا الغار فقال امية
ابن خلف وما اربكم بالغار اي وما حاجتكم به ان فيه لعنكبوتا اقدم من
ميلاد محمد قوله ظنوا الحمام الخ هذا البيت كالتعليل لما قبله كما علمت وقوله على
خير البرية متعلق بقوله لم تنسج او بقوله لم تحم وفي كلامه الحذف من الثاني
لدلالة الاول او بالعكس وقوله لم تنسج بكسر السين وضمها راجع للعنكبوت
وقوله ولم تحم بضم الحا راجع للحمام ففيه لف ونشر مشوش وسبب ظنهم ذلك
ان هذين الحيوانين متى احسا بالانسان فرا منه ولم يعلموا ان الله تعالى
يحفظ من شا من عباده بما شا من جملة خلقه قوله وقاية الله اغنت اي حفظ
الله لهما من الكفار اغناهما عن مضاعفة من الدروع بان يلبس الشخص درعا
فوق درع للحفظ من العدو او ان تنسج الدرع حلقتين وتلبس للحفظ من العدو
فالمراد بالمضاعفة من الدروع ان يلبس الشخص درعا فوق درع وقيل ان
تنسج الدرع حلقتين وقوله وعن عال من الاطم اي واغنت عن عال من
الحصون التي يتحصن فيها من العدو فالاطم بضم الهمزة والطا بمعنى الحصون
جمع اطمة وهي الحصن وفي هذا البيت اشارة الى قوله تعالى الا تنصروه فقد
نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا الاية قوله ما ضامني الدهر يوما الخ هكذا
في بعض النسخ وفي بعضها ما سامني الدهر ضيما اي والمعنى على الاول ما ظلمني
الدهر في يوم اي وعلى الثاني ما ارادني وقصدني الدهر بظلم اي وعلى كل فلا
بد من تقدير مضاف اي اهل الدهر والا فالدهر لا يظلم ولا يريد الظلم وان
جرت عادة العرب بنسبة الظلم اليه لوقوعه فيه وقوله واستجرت به اي
طلبت منه ان يجيرني من ذلك فالسين والتا للطلب وقوله الا نلت

جوارا

جوارا منه اي والا اعطيت جوارا بكسر الجيم وضمها اي حمى وحفظا من الرسول
وقوله لم يضم بالبنا للمجهول اي لم يحتقر بل يحترم وهذا البيت والذي بعده
فائدتهما ان من كان مسجونا او خائفا من سلطان وداوم على قراءتهما سبع
عشرة مرة بعد كل صلاة فان الله يفرج عنه همه ويجعل له من امره مخرجا قوله
ولا التمست اي معطوف على قوله ما ضامني الدهر الخ والالتماس عند بعضهم
اسم للطلب من المساوي والمراد منه هنا الطلب بخضوع وذلة وقوله
غنى الدارين اي داري الدنيا والاخرة والغنى في الاولى بالكفاية وفي الثانية
بالسلامة من العذاب وقوله من يده اي من نعمته فالمراد من اليد هنا النعمة
وقيل المراد منها الذات الكريمة وقوله الا استلمت اي الا اخذت فالمراد بالاستلام
هنا الاخذ كما في قولهم استلمت معروفه على سبيل التجوز لانه في الاصل اللمس
باليد او الفم كما في قولهم استلم الحجر وقوله الندا بفتح النون مع القصر وهو
العطا والكرم وقوله من خير مستلم بفتح اللام اي من خير مستلم منه فصلته
محذوفة والمستلم منه هو الماخوذ منه وانما كان صلى الله عليه وسلم خير مستلم
منه لانه لا يرد سائله ويعطيه خير الدنيا والاخرة فان قيل اخباره عن نيل
غنى الدنيا منه صلى الله عليه وسلم صحيح لانه مشاهد في الحس بخلاف اخباره عن نيل
غنى الاخرة منه صلى الله عليه وسلم فانه غير مشاهد في الحس فكيف يصح
اخباره عنه اجيب بانه مشاهد بعين الايمان وفي هذا البيت
والذي قبله براعة المطلب وهي كما قال الزنجاني في كتاب المعيار ان يلوح
بالطلب بالفاظ عذبة خالية عن الاجحاف مقترنة بتعظيم الممدوح
مشعرة بما في النفس دون كشفه وقيود هذا الحد كلها موجودة في هذين
البيتين قوله لا تنكر الوحي اي هذا شروع في مبدا الوحي وقوله من
رؤياه حال من الوحي ومن للابتدا اي لا تنكر الوحي حال كونه مبتدا
من رؤياه في النوم فان بدا الوحي كان بالرؤيا الصالحة في النوم وكان
صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وقوله ان له قلبا
اي تعليل لما قبله اي ان له صلى الله عليه وسلم قلبا له اليقظة الدائمة

حتي اذا نامت عيناه الشريفتان لم ينم قلبه لانه مهبط الوحي وقد شق
وطهر من التعلق بغير الله وملي حكمة وايمانا فصارت اليقظة الدائمة من صفاته
فحسنت ان يخاطب و يتعلق به الوحي وقد ورد في الصحيحين ان عيني تنامان
ولا ينام قلبي لا يقال يشكل علي ذلك ان النبي صلي الله عليه وسلم نام مع اصحابه
في الوادي فلم يوقظهم الا حر الشمس لانا نقول نظر القلب انما هو فيما غاب عن الشاهد
ومشاهدة طلوع الشمس من وظيفة العين وقد كانت اخذت حظها من النوم
وهذا البيت والذي بعده فائدتهما الخفة من المرض من كتبهما في صحيفة فخار وبحاه
بشراب لم قسوس وشربهما علي الريق فانه يخف باذن الله تعالي **قوله** وذاك اي لما
كان البيت المتقدم يوهم ان الوحي من رؤياه في النوم دائما دفع ذلك بقوله وذاك
اي واسم الاشارة راجع للوحي من رؤياه في النوم وقيل حين بلوغ من نبوته اي
حين وصول في نبوته فالبلوغ بمعني الوصول ومن بمعني الي والمعني والوحي
من رؤياه في النوم كائن وحاصل حين الوصول الي نبوته وحكمة ذلك
الاستيناس بملاقاة الملك في النوم ليطيق ذلك في اليقظة بعد اذ لو جاءه
في اليقظة ابتدا لا امكن ان لا يطيق ملاقاته فلما استانس بذلك
اتاه في اليقظة وقوله فليس اي تفريع علي قوله وذاك حين بلوغ الي وينكر بالبنا
للمفعول وحال المحتلم نائب فاعل والضمير في قوله فيه للحين المذكور وفي بعض
النسخ منه بدل فيه والضمير عليه للنبي صلي الله عليه وسلم والمراد بحال
المحتلم الوحي من رؤياه في النوم لان المحتلم هو النائم وحاله ما يراه
في نومه **والحاصل** ان ذلك انما كان في ابتدا النبوة وقد
نبي علي راس اربعين سنة وذلك احد مبدا النبوة واذا كان كذلك
فلا ينكر الوحي من رؤياه ح وان كانت مرتبته صلي الله عليه وسلم اعلي المراتب
وكان مقتضي ذلك ان لا يكون الوحي اليه في النوم لان الوحي في النوم ادني
من الوحي في اليقظة **قوله** تبارك الله اي هذا البيت استدلال علي ما قبله
ومعني تبارك الله تنزه الله تعالي وارتفع عما يقوله الكافرون علوا
كبيرا وقوله ما وحي بمكتسب اي ليس وحي وان قل بمكتسب لاحد بسعيه

فيه

٣٧

فيه بان يحصله باسباب لان اكتساب الشيء تحصيله باسبابه التي جرت
العادة الغالبة بحصوله عقبها واذا لم يكن مكتسبا بل بتخصيص الله به
من يشا من عباده فلا ينكر وقوعه في الرؤيا كما لا ينكر وقوعه في اليقظة
فان فعل الفاعل المختار لا يختص بحالة دون اخري فالذي عليه اهل الحق ان
الوحي ليس مكتسبا خلافا لزاعمي ذلك وهم الفلاسفة فانهم زعموا انه مكتسب
بالخلوة والرياضة وهو كفر صراح فيجب الايمان بان ذلك بمحض فضل الله
تعالي قال تعالي الله اعلم حيث يجعل رسالته ومثل الوحي الولاية فليست
مكتسبة ايضا بل بفضل الله يوتيه من يشا وقوله ولا نبي علي غيب بمتهم
اي ولا نبي من الانبيا عليهم الصلاة والسلام بمتهم علي اخبار غيب اي علي الاخبار
بامر غائب فهو علي تقدير مضاف والغيب بمعني الغائب وهو صفة لموصوف
محذوف وانما لم يكن النبي متهما علي الاخبار بالغيب لان الانبيا عليهم الصلاة
والسلام معصومون من الكذب كسائر المعاصي ولا يرد قوله تعالي ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله تعالي ووضعنا عنك
وزرك ونحو ذلك لان ما يقع منهم من باب حسنات الابرار سيئات المقربين بيني
فان المقرب اعلي درجة من الابرار فاذا فعل البار حسنة يراها المقرب سيئة
ومثلوا ذلك بما اذا تصدق البار برغيف وابقي عنده رغيفا اخر فان
هذا حسنة عنده لكن يراها المقرب سيئة لكون الاولي عنده ان
يتصدق بالرغيفين معا وفي ذلك اشارة الي قوله تعالي وما هو علي الغيب
بظنين اي بمتهم والي قوله تعالي وما ينطق عن الهوي ان هو الا وحي يوحي
والحاصل ان الانبيا معصومون من الكبائر وصغائر الخسة
باجماع ومن صغائر غير الخسة علي ما عليه المحققون والراجح انهم معصومون
منها قبل النبوة وبعدها خلافا لمن جوزها عليهم قبل النبوة ولما وقع منهم
محامل فاما قصة ادم وهي انه اكل من الشجرة وقد نهاه الله عنها فمحمول علي انه
تاول النهي مع انه وان كان منهيا ظاهرا ماموزا باطنا لحكمة يعلمها الله فهي
معصية كالمعاصي واما قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلي نبينا افضل

الصلاة واتم التسليم هذا ربي فقد ذكره مجاراة لهم اي هذا ربي بزعمكم وغرضه
بذلك التوصل لبطلانه بلزوم المحال ولذلك قال فلما افل قال لا احب الافلين
فكانه قال لو كان ربا لما افل لكنه افل فليس برب واما ما صدر من اخوة يوسف
عليه الصلاة والسلام فلا يرد لانه قد اختلف في نبوتهم فعلى القول بعدم نبوتهم
لا اشكال وعلى القول بنبوتهم فيتاول ما صدر منهم بما اولت به قصة ادم
وما وهم يوسف بزليخا فهو امر جبلي لا اختياري حتى يكون مذموما والرغبة
في النسا محمودة اذ عدمها يدل على العنة وهي نقيصة ولما هم يوسف بزليخا
بمقتضى الجبلة امتنع لكونه راى برهان ربه وذلك معنى قوله تعالى وهم
بها لولا ان راى برهان ربه واما قصة داود عليه الصلاة والسلام
وهي انه خطر بباله انه ان مات وزيره في الحرب تزوج بزوجته لما علم من حسنها
فارسل الله اليه ملكين في صورة رجلين اختصما اليه الى اخر القصة
المذكورة في سورة ص فلا ترد ايضا لان ما وقع منه ليس لمعصية لكنه
غير لايق بمقامه ولذلك عوتب عليه وبكى حتى نبت العشب من دموعه
وذكر بعض المفسرين ان جماعة من الناس حقيقة تسوروا قصره ليقتلوه
فلما راهم خاف كما قال تعالى ففزع منهم وانما خاف لما تقرر في العرف من انه لا يتسور
دور الملوك من غير اذنهم الا ذو ريبة فلما راوه مستيقظا خافوا من فعلهم
واخترعوا خصومة لا اصل لها زعما منهم انما قصدوه لاجلها دون ما توهمه
بل ادعى واحد منهم على الاخر كما اخبر الله تعالى فقال داود في الجواب لقد ظلمك
بسؤال نعجتك الخ وحمل الاية على هذه القصة اولى لان الملائكة لا يظلم بعضهم
على بعض فيكون كلامهم كذبا ويستحيل صدور الكذب من الملائكة اهـ من
القسطلاني ببعض تغيير واختصار وهذا البيت والذي بعده فائدتهما
الكتابة للمصروع بين عينيه والكتابة في خرقة زرقا ويجعل فتيلة
ويحرق طرفها بالنار ويجعل تحت انف المصروع فمتى حصل الدخان في انف
المصروع صاح فيخرج صارخا ويمحى الذي بين عينيه فيذهب الصارع
ولا يعود ابدا واذا اخرج العارض فاكتب البيتين حرزا مع شي من القران
وعلمهما

وعلمهما على المصاب فانك ترى العجب **قوله** كم ابرات اي اي كثيرا من المرات ابرات
اي فكم خبرية لمعنى كثير او مميزها محذوف وقوله وصبا بكسر الصاد اي مريضا
ويجوز فتح الصاد اي مرضا لكنه على تقدير مضاف اي ذا مرض والاول اولى
وهو مفعول لابرات وجعله بعضهم تمييز الكم وجعل مفعول ابرات محذوفا
وقوله باللمس اي بسبب اللمس وقوله راحته فاعل بابرات واشار بذلك الى
ما روي من ان عين قتادة اصيبت يوم احد ووقعت على وجنته فاتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له ان لي امراة احبها واخشى انها ان
راتني على هذه الحالة قذرتني وارتفع حبي من قلبها فاخذ النبي صلى الله
عليه وسلم عينه بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسها جمالا فكانت
احسن عينيه ومن ان محمد بن حاطب احترقت يده بالنار فجا للنبي صلى
الله عليه وسلم فمسح عليها فبرئت من ساعته ومن ان شرحبيل الجعفي
كانت بكفه سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها
للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى لم يبق لها اثر وغير ذلك
من وقايع كثيرة وقوله واطلقت اي وحلت راحته وقوله اربا بفتح الهمزة
وكسر الرا بوزن فرحا اي ذا ارب وحاجة وهي اعم من ان تكون عطا او شفا
او خلوصا من الم وبعضهم ضبطه بضم الهمزة وفتح الرا وفسره بالعقد وقوله
من ربقة اللمم اي من عقدة الجنون فالربقة بكسر الرا وسكون الموحدة
العقدة واللمم بفتح اللام الجنون ويصح تفسيره بالذنوب والمعاصي وفي كلام
المصنف استعارة تصريحية حيث شبه تعلق الجنون او الذنوب والمعاصي
بالانسان بالحبل الذي فيه عرى تربط فيها اعناق الغنم لئلا تذهب
واستعير لفظ المشبه به وهو الربقة للمشبه واشار بذلك الى ما روي
من ان امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم بابن لها به جنون فمسح بيده
المباركة صدره فثع ثعة بالمثلثة والعين المهملة اي قا قيئة فخرج
من جوفه مثل الجرو الاسود وبرئ لوقته **قوله** واحيت السنة الشهبا
الخ اي واخصبت السنة الشهبا الخ ففيه استعارة تصريحية تبعية

لانه شبه الاخصاب بالاحيا واستعار اسم المشبه به للمشبه واشتق من
الاحيا بمعنى الاخصاب احيت بمعنى اخصبت او استعارة بالكناية وتخييل
لانه شبه السنة الشهبا بانسان ميت تشبيها مضمرا في النفس وحذف
لفظ المشبه به ورمز اليه بشي من لوازمه وهو الاحيا ولا يخفى ان السنة مفعول
مقدم ودعوته فاعل مؤخر والشهبا صفة للسنة وهي قليلة المطر سميت
بذلك لانها تشبه الفرس الشهبا وهي التي يغلب بياضها على سوادها
وانما اشبهتها لغلبة بياض الارض فيها لعدم النبات على سوادها بالنبات
وقوله دعوته اي بالسقيا وقوله حتى حكت غرة في الاعصر الدهم غاية لقوله واحيت
اي وغرة بالنصب على انه مفعول لحكت وغرة كل شي احسنه والاعصر جمع عصر
وهو الزمن والدهم بضم الدال والها جمع ادهم وهو الاسود لسواد الارض فيه
بالزرع شديد الخضرة حتى يرى انه اسود فتلك السنة لكثرة خصبها جدا حتى
كانها غرة في تلك الاعصر واشار بذلك الى ما رواه الشيخان عن انس ان رجلا
دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال
يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا فرفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اغثنا ثلاثا وما نرى في السما
من سحاب ولا قزعة بفتح القاف والزاي اي قطعة سحاب فطلعت سحابة
ثم امطرت والله ما راينا الشمس سبتا ثم دخل رجل في الجمعة الاخرى ورسول
الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال يا رسول الله هلكت الاموال
وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا فرفع يديه ثم قال اللهم حوالينا
ولا علينا اي فاقلعت اي انكشفت وخرجنا نمشي في الشمس وسئل انس
اهو الرجل الاول قال لا ادري قوله بعارض اي احيت السنة الشهبا دعوته
بعارض فالجار والمجرور متعلق باحيت ويصح تعلقه بحكت والمراد
بالعارض السحاب الذي ارسله الله تعالى بسبب دعوته صلى الله عليه
وسلم وقوله جاد اي جاد هذا العارض وهو السحاب بالمطر الكثير وفي قوله
جاد نوع احتراس لان العارض قد يكون مهلكا وقد يكون الاحتراس في قوله

واحيت

واحيت وقوله او خلت اي وظننت واو بمعنى الواو وانما عبر باو ليستقيم الوزن
وبعضهم جعلها بمعنى الى فالمعنى الى ان ظننت كما في قول الشاعر
لاستسهلن الصعب او ادرك المنى ٭ فما انقادت الامال الا لصابر ٭
فاو فيه بمعنى الى والمعنى الى ان ادرك المنى وقوله البطاح بالنصب على انه مفعول
اول لقوله خلت وجملة قوله بها سيب من اليم او سيل من العرم سدت مسد
المفعول الثاني والبطاح جمع ابطح وهو الوادي المتسع الذي فيه دقاق الحصى
والضمير في قوله بها راجع للبطاح والسيب الجري واليم البحر ومن الداخلة عليه
ابتدائية والعرم بفتح العين وكسر الرا في الاصل اسم لما يمسك الما من بنا ونحوه
وهو ايضا اسم للواد ومن الداخلة عليه للابتدا وهذا ماخوذ من قوله تعالى فارسلنا
عليهم سيل العرم اي سيل الوادي الممسوك بالسد الذي بنته بلقيس وهو
بنا عظيم محكم على ما ذكره اهل التفسير والتاريخ وانما خص اليم بالسيب والعرم
بالسيل لان ما اليم لكثرته يجري في الارض المنبطحة الى اسفل والى فوق وما العرم
غالبا انما يقع في اعلى الارض فلا يجري الا سائلا واو الثانية للتخيير فالمعنى
انت بالخيار فاما ان تشبه الما الكائن على سطح الارض بسيب البحر وان
تشبه بسيل السد او للتشكيك فالناظر يتشكك في الما الكثير الكائن
على سطح الارض هل هو سيب من البحر او سيل من السد قوله دعني انما ذكرنا ظه
جملة من معجزاته صلى الله عليه وسلم قدر ان العدو المعاند والكافر الجاحد
قال له كف عن ذكر هذه الايات التي لا نسلمها فاجابه بقوله دعني اي كانه يقول
له كيف تنكرها ولا تسلمها وقد ظهرت ظهورا تاما وقوله ووصفي ايات
اي ذكري لها بالنظم اخذا مما ياتي وهو معطوف على اليا من دعني او مفعول
معه اي اتركني وذكري ايات او مع ذكري ايات والمراد بالايات المعجزات الدالة
على نبوته صلى الله عليه وسلم وهو مفعول لوصفي وقوله له متعلق بمحذوف
صفة لايات اي ايات كائنة له صلى الله عليه وسلم او متعلق بقوله ظهرت
الواقع صفة للايات ووصفها بذلك كاشف لان الظهور لازم لكل اية
من اياته صلى الله عليه وسلم ويصح ان يكون احترازا عما ثبت بالاحاد فكانه

بلغ

يقول للمنكر انا لا اصف الاما لا يمكن انكاره لثبوته بالتواتر واما ما ثبت
بالاحاد فلا لانه يمكن انكاره وقوله ظهرت ظهور نار القرى اي ظهرت ظهورا
مثل ظهور نار القرى بكسر القاف الذي هو الضيافة وقوله ليلا ظرف لظهور
نار القرى وقوله على علم اي جبل وقوله جرت عادة الكرام من العرب بايقاد
تلك النار على الجبل ليهتدي لضيفان الى اماكنهم والتنكير في الليل والعلم
للنوعية اي ليلا حالكا اي شديد السواد على علم شامخ اي مرتفع او للتعظيم
قوله فالدر الخ لما كان قد يقال اذا كانت اياته صلى الله عليه وسلم ظهرت ظهور
نار القرى ليلا على علم فما فائدة وصفك لها بهذا النظم اجاب بانها وان كانت
اياته صلى الله عليه وسلم ظاهرة ظهورا تاما ما يزداد ظهورها بذكرها
ويزداد حسنها بنظمها ولا ينقص قدرها منثورة لانه ذاتي لها فلا يفارقها
سوا كانت نثرا او نظما نعم ما يحصل من زيادة الالتذاذ بسماعها منظومة ينقص
مع الاخبار بها منثورة لان ما يزيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف
واستدل على ذلك بامر محسوس يدرك فيه ما ذكر بقوله فالدر الخ اي فالدر
المعلوم حسنه وهو اللؤلؤ يزداد حسنا والحال انه منتظم في السلك
لترتيبه وتنزيله في المنازل المناسبة وليس ينقص قدرا حال كونه غير
منتظم لان حسنه ذاتي له فلا يفارقه سوا كان منظوما او غير منظوم
نعم الحسن الحاصل عند عدم نظمه لما يحصل له الترتيب والتناسب ينقص
عند نظمه لما علمت من ان ما يزيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف وكل
من قوله حسنا وقوله قدرا تمييز محول عن الفاعل والتقدير في الاول يزداد
حسنه وفي الثاني وليس ينقص قدره وقد علم مما تقرر ان الواو في قوله وهو
منتظم واو الحال وان قوله غير منتظم حال من فاعل ينقص وفائدة قوله وليس
ينقص قدرا غير منتظم الاحتراس لرفع لما يتوهم من ان ازدياد الحسن بالنظم
يوجب نقص القدر عند عدم النظم قوله فما تطاول الخ لما كان قوله يعني وصفي
انه قد يوهم انا انا له تطاولت بالمدح الى استقصا ما فيه صلى الله عليه
وسلم من الصفات دفع ذلك بقوله فما تطاول الخ والفا عاطفة ويحتمل ان

ما نافية

ما نافية وتطاول فعل ماض وامالي فاعل والمدح منصوب بنزع الخافض والمعنى
هذا فلم تطاول امالي بالمدح الصادر مني الى استقصا ما فيه صلى الله عليه وسلم
من كرم الاخلاق والشيم لعلمي بالياس من ذلك والعجز عما هنالك ويحتمل ان
ما استفهامية فتكون للاستفهام الانكاري وهي مبتدا وتطاول مصدر مرفوع
على انه خبر ما الاستفهامية فانها مبتدا كما علمت وامالي مضاف اليه والمدح
منصوب بنزع الخافض مثلها مر على الوجه الاول والمعنى على هذا فما فائدة تطاول
امالي بالمدح الى تمام ما فيه صلى الله عليه وسلم من كرم الاخلاق والشيم مع انها
لا تتناهى وما ذكرناه من ان المدح منصوب بنزع الخافض على النسخ التي فيها
اماني بالاضافة لياء المتكلم المحذوفة لالتقاء الساكنين وفي بعض النسخ
امال بلا يا وعليه شرح القسطلاني وجعل المدح مجرورا لانه مضاف اليه
لكن على تقدير مضاف اي امال صاحب المدح والتطاول في الاصل مد العنق
والامال جمع امل وهو الرجا وقد شبه الامال بذي عنق يتطاول اي يمد
عنقه الى ما يريد ادراكه تشبيها مضمرا في النفس وطوى لفظ المشبه به
ورمز اليه بشي من لوازمه وهو التطاول ففي كلامه استعارة بالكناية وتخييل
والمدح هو الثنا الحسن وقوله الى ما فيه اي الى استقصا ما فيه صلى الله
عليه وسلم وهو متعلق بتطاول وقوله من كرم الاخلاق والشيم بيان لما فيه
والاضافة في ذلك من اضافة الصفة للموصوف اي من الاخلاق والشيم الكريمة
والاخلاق جمع خلق بضمتين وهو الطبيعة والشيم بكسر الشين المعجمة وفتح
اليا جمع شيمة وهي الخلق بضمتين فعطف الشيم على الاخلاق من قبيل عطف
المرادف وهو في مقام المدح سائغ وايضا قد يكون كرم الاخلاق عن استعمال
وتكلف فرفع ذلك بقوله والشيم فهو احتراس فكانه قال كرم اخلاقه صلى الله
عليه وسلم من كرم طباعه لا بالاستعمال والتكلف اذ ذلك من غير ان يكون طبيعة
وهذا البيت الى اخر قد تنكر العين خاصيتها لمن كان لا يحسن العبادة ولمن
كان الكف لا يستقيم له حجة فليكتب هذه الابيات في صحيفة فخارنا ورد وزعفران
ويمحها ويشرب بها عند ارادة النوم وقيامه من النوم فانه يصير فصيح اللسان قوي

حجته ويرزقه الله القوة على العبادة باذن الله تعالى قوله لبيان حقانيته اي من
معجزاته صلى الله عليه وسلم ايات حقائق فايات مبتدا خبره مقدر قبله وهو الجار
والمجرور واضافة ايات لحق من اضافة الموصوف للصفة اي ايات موصوفة بانها
حق وجميع ما سياتي الى قوله في البيت الثاني عشر وكالميزان معدلة صفات للايات
وما يقع بين الصفات من متعلقاتها ومقصود المصنف بذلك مدح النبي صلى
الله عليه وسلم لكنه لما ذكر ان من معجزاته صلى الله عليه وسلم الايات الحق التي هي
القران استطرد بذكر صفاتها وقوله من الرحمن اي من عند الرحمن لا من عند محمد كما
زعمه كفار قريش وقوله محدثة اي احدثها الله تعالى كما جا في التنزيل قال
تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين وقال تعالى
ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون وفي بعض النسخ
محكمة بدل محدثة وقد جا بها التنزيل ايضا قال تعالى كتاب احكمت
اياته وقوله قديمة استشكل بانه ينافي قوله محدثة على النسخة الاولى
لان الشي لا يكون محدثا وقديما معا والا ادى الى اجتماع النقيضين وهو
محال واجيب بانها محدثة باعتبار الالفاظ قديمة باعتبار المعاني فهي
محدثة قديمة باعتبارين لا باعتبار واحد حتى يؤدي الى اجتماع النقيضين
وهذا الجواب مبني على ان الالفاظ التي نقروها تدل على الكلام القديم الذي
هو صفة قائمة بذاته تعالى كما قاله السنوسي وغيره من المتقدمين لكن
ناقش في ذلك العلامة ابن قاسم واختار انها تدل على معنى مساو للمعنى الذي
تدل عليه الصفة القديمة مثلا اقيموا الصلاة يدل على طلب اقامة الصلاة
وبحيث لو كشف عنا الحجاب لفهمنا من الكلام القديم مثل هذا المعنى ويمكن ان
يكون المراد ان هذه الالفاظ تدل على الصفة القديمة بطريق اللزوم
العرفي لا العقلي لانه يلزم عرفا من ان يكون له تعالى كلام لفظي بمعنى انه
خلقه في اللوح المحفوظ ان يكون له كلام نفسي فان كل من اسند له كلام لفظي
لزم عرفا ان يسند له كلام نفسي اذ هو يدل عليه كما قال الاخطل

ان الكلام لفي الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وبهذا

وبهذا كله ظهر قوله صفة الموصوف بالقدم فليس المراد ان الالفاظ التي نقروها
صفة للموصوف بالقدم الذي هو الله تعالى لانها حادثة بل المراد ان
معناها صفة له تعالى وهو مبني على ما مر والا فمن الالفاظ التي نقروها
منه ما هو قديم كمدلول قوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم ومنه ما هو
حادث كمدلول قوله تعالى ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين
فبعضه قديم وبعضه حادث وبالجملة ففي هذه المسئلة نزاع طويل
والحاصل ان الالفاظ التي نقروها لها دلالتان دلالة بالوضع
وهي التي اعتبرها العلامة ابن قاسم فان المدلول بهذه الدلالة مساو للمدلول
الذي تدل عليه الصفة القديمة ودلالة بالالتزام العرفي لا العقلي وهي
الذي اعتبرها السنوسي وغيره من المتقدمين فان المدلول بهذه الدلالة
هو الصفة القديمة فكل من المسلكين صحيح كما في حواشي الكبرى قوله لم تقترن
اي لانها قديمة من حيث معناها على ما فيه فمدلولاتها قديمة على ما علمت
والزمان حادث والقديم لا يقترن بالحادث لانه لو اقترن به لكان
حادثا وقوله وهي اي الايات وقوله تخبرنا عن المعاد اي عن عود الخلق
بعد انعدامهم فالمعاد بمعنى عود الخلق الى الله تعالى في الدنيا والاخرة بعد
انعدامهم في دار الدنيا وذلك كقوله تعالى وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده
وقوله تعالى كما بدانا اول خلق نعيده وقوله وعن عاد اي وتخبرنا عن قبيلة
عاد التي بعث اليها هود عليه السلام وذلك كقوله تعالى حكاية عنهم يا هود
ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك الاية وسميت هذه القبيلة
باسم ابيها وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وكان عمره الف سنة ومائتي
سنة وراى من صلبه اربعة الاف ولد وتزوج الف امراة وكان كافرا يعبد
القمر ثم انه يقال للاولين منهم عاد الاولى ولمن بعدهم عاد الاخرى ويقال لهم ايضا
ارم تسمية لهم باسم جدهم ارم وقيل ان ارم اسم ارضهم وبلدتهم التي كانوا فيها وقيل
انها مدينة بناها شداد بن عاد لبنة من فضة واخرى من ذهب في صحف
عدن لما سمع بذكر الجنة وما فيها وجعل فيها قصورا من الذهب والفضة

واساطينها اعمدتها من الزبرجد والياقوت وجعل فيها انهارا مطوّدة
واصنافا من الشجر واتم بناها في ثلاثمائة سنة وعندما اراد الرحيل اليها
باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من
السما فاهلكتهم وقد اطنب المورخون في صفتها وهذا خلاصة خبرها وقوله
وعن ارم بكسر الهمزة وفتح الرا المهملة اي وتخبرنا عن ارم وذلك كقوله تعالى الم تر
كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد عرفت ان ارم
سمي عادا الاخرى وارم في الاية عطف بيان على عاد ايذانا بانهم غير عاد الاولى
لكن قضية سياق الاية ان المراد بارم البلد وهو احد الاقوال السابقة
وانما كرر المعنى في الثلاثة لانها انواع مختلفة فلا يحسن جمعها في واحد
ولان لكل اخبارا تخصه وقيل كررها للوزن وحسنه ان مقام المدح
يحسن فيه الاطناب **قوله** دامت لدينا اي استمرت عندنا فتسبب عن
ذلك انها فاقت كل معجزة صادرة من النبيين غير نبينا صلى الله عليه وسلم
وقوله اذ جات ولم تدم تعليل لقوله فاقت كل معجزة من النبيين اي اذ جات
عنهم ولم تستمر بل لم تظهر على ايديهم الا مرة واحدة وذلك حين التحدي ثم لم تظهر
بعد ذلك والى ذلك اشار صلى الله عليه وسلم بقوله ما من نبي من الانبيا
الا وقد اوتي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته
وحيا يتلى وهو باق على الدوام وسبب ذلك انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين
فشريعته باقية الى يوم الدين فناسب ان تكون معجزته كذلك والمعجزة
هي الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي وهو دعوى النبوة او الرسالة
وهي ماخوذة من الاعجاز لانها تعجز الخصوم عن ان ياتوا بمثلها وقد نظم بعضهم
اقسام الخارق للعادة فقال

اذا ما رايت الامر يخرق عادة ۞ فمعجزة ان من نبي لنا صدر
وان بان منه قبل وصف نبوة ۞ فالارهاص سمه تتبع القوم في الاثر
وان جا يوما من ولي فانه الكرامة في التحقيق عند ذوي النظر
وان كان من بعض العوام صدوره ۞ فكنوه حقا بالمعونة واشهر

وان من فاسق ان كان وفق مراده ۞ يسمى بالاستدراج فيما قد استقر
والا فيدعى بالاهانة عندهم ۞ وقد تمت الاقسام عند الذي اختبر
وزاد بعضهم السحر وقيل انه غير خارق لانه معتاد عند تعاطي اسبابه **قوله**
محكمات اي والايات المذكورة محكمات الخ ومعنى محكمات متقنات النظم في البلاغة
والفصاحة بحيث لا يقدر البشر على الاتيان بمثلها فدل ذلك على انها من عند
الله تعالى قال تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
وكلهم قد عجزوا عن معارضته قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران لا ياتون بمثله وقد كان كثير من الكفار يسلم لما يدرك من فصاحة الفاظه
او ان معنى محكمات ذوات حكمة ويصح فيها فتح الكاف لان الله احكمها اي اتى بها
ذات حكمة وكسرها لانها دالة على الحكمة قال تعالى يس والقران الحكيم قال الزمخشري
اي ذي الحكمة لانه ناطق بها وقد كان كثير من الكفار يسلم بمجرد سماع ما تضمنت
الكثيرة من بعض ايات القران في الفاظ قليلة كما كان كثير منهم يسلم لما يدرك من
فصاحة الفاظه لان مثل ذلك المجموع لا يمكن ان يكون من كلام البشر وقوله فما تبغين
من شبه لذي شقاق بضم التا من تبغين لانه من ابغى اي فما تترك تلك الايات
المحكمات شبها لصاحب شقاق وهو الكافر لانه مشاق الدين اذ هو في شق
والاسلام في شق بل تزيلها فمن زائدة في المفعول والشبه جمع شبهة وهي ما يظن
دليلا وليست بدليل وان شئت قلت كلام مزخرف الظاهر فاسد الباطن
والشقاق المخالفة للحق **والحاصل** ان الكافر اذا ادعى امرا مخالفا
للحق واقام عليه شبها كانت القران هادمة لتلك ومزيلة لها لما تضمنته
من الحكم والفوائد وانما قال من شبه بصيغة الجمع ولم يقل من شبهة بصيغة
المفرد وان كان المفرد ان عموم المفرد اشمل فانه اذا انتفى الواحد انتفى الجنس كله
جمعه ومفرده بخلاف نفي الجمع فانه لا يستلزم نفي الواحد تنبيها على ان طرق
الباطل شتى فكانه يقول ان هذه الايات لا تبقين شيا من انواع الشبه
الكثيرة المختلفة الانواع فما من احد تعرض له شبهة الا ويجد شفاها منها
في القران فانه الشفا من كل داء والنجاة عند تفرق الادوا وقوله وما تبغين

من حكم بنفي الناس تبغين اي ولا تطلب حكما بفتحتين بمعنى حاكما يحكم على ذلك
المخالف للحق بانه على خلاف الصواب لظهور براهينها عليه ثم زائدة في المفعول
كالتي قبلها فهي زائدة في الموضعين كما أن ما نافية في الموضعين قوله ما حوربت
الخ اي ما حوربت الآيات بها وهو النبي صلى الله عليه وسلم في الزمن الماضي الا كان
النبي صلى الله عليه وسلم هو الغالب ورجع اشد الاعادي عداوة اليها
ملقي السلاح وسلم له صلى الله عليه وسلم اما بدخوله في الاسلام واما بتركه
المحاربة من اجل شدة بلاغتها فاسناد المحاربة اليها مجاز لان المحارب
الاتي بها لا هي ويحتمل ان المراد بالمحاربة المعارضة فيكون المعنى ما عورضت
في الزمن الماضي بان اراد احد ان ياتي بمثلها بحسب ظنه الا عجز وعاد اليها
اشد الاعادي عداوة مسلما منقادا من اجل شدة بلاغتها فعقد
شبه المعارضة بالمحاربة بجامع عدم الانقياد في كل واستعار
المحاربة للمعارضة واشتق منها حوربت بمعنى عورضت على طريق الاستعارة
التصريحية التبعية وقط ظرف بمعنى الزمن الماضي وعاد من اخوات كان
فترفع الاسم وتنصب الخبر فاعدى الاعادي اسمها وملقي السلم
خبرها واليها متعلق بعاد وكذا قوله من حرب ومن فيه للتعليل
فهي بمعنى من اجل وذكر بعضهم انها للابتدا وحقيقة الحرب بفتحتين
سلب المال لكن المراد به هنا الشدة اي شدة بلاغتها مجازا من باب
اطلاق اسم الملزوم وارادة اللازم لانه يلزم من سلب المال الشدة ويحتمل ان
المراد به سلب الحجة التي هي كالمال لان الشخص يخاف على حجته ان تدحض
وتضمحل فيفتضح كما يخاف على ماله ومعنى اعدى الاعادي اشد
الاعادي عداوة والاعادي جمع اعدا وهو جمع عدو فالاعادي جمع الجمع
ومعنى السلم بفتحتين السلاح او الاستسلام والانقياد وفي التنزيل
والقوا اليكم السلم اي الاستسلام والانقياد قوله ردت بلاغتها الخ
اي ابطلت بلاغتها دعوى معارضها الاتيان بمثلها ابطالا مبالغا
فيه فاذا ادعى المعارض الاتيان بمثلها في ظنه بطلت بلاغتها دعواه

كما

٢٦

كما وقع لمسيلمة الكذاب حيث عارض القران لما ادعى النبوة واراد ان ياتي
بقران يشبه القران فقال في معارضة سورة النازعات والطاحنات
طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا فافتضح لا بارك الله فيه والبلاغة
هي المطابقة لمقتضى الحال مع الفصاحة التي هي الخلو من الحشو والتعقيد
والغرابة وقوله رد الغيور اي ردا مثل رد الشخص الغيور الذي هو شديد
الغيرة على النسا والاضافة في ذلك من اضافة المصدر لفاعله وقوله
يد الجاني مفعول للمصدر الذي هو الرد وقوله عن الحرم متعلق بالمصدر
المذكور والحرم بضم الحا المهملة وفتح الرا جمع حرمة فكونه غيورا
يقتضي ان يرد ويدفع يد الجاني عنهن وان لم يكن من محارمه
بمقتضى طبعه فكيف يرده يد الجاني عن حرمه وهو كامه
واخته وغيرهما فرده عنهما اشد من رده عن غيرهما وظاهر
كلام المص ان اعجاز القران للبشر عن الاتيان بمثله بسبب ما اشتمل
عليه من البلاغة التي لم يصلوا اليها وعلى ذلك فالقران ليس
من جنس مقدورهم وهو قول الجمهور والقول الثاني انه من جنس مقدورهم
لكن الله تعالى صرفهم عن الاتيان بمثله ولذلك يسمى بقول الصرفة
وهو ادخل في الاعجاز لان عجزهم عما هو من جنس مقدورهم ادخل
في قيام الحجة عليهم من عجزهم عما هو ليس من جنس مقدورهم لكن
يلزم عليه ان اعجاز القران ليس بنفسه بل بالصرفة فيكون
غير معجز بنفسه فالحق القول الاول قوله لها معان الخ اي
لتلك الايات معان كثيرة لا نهاية لها بل يمد بعضها بعضا
كما اشار الناظم بقوله كموج البحر في مدد اي مثل موج البحر في كونه
يمد بعضه بعضا اذ ما من موجة الا وبعدها موجة وهكذا
واشار بذلك الى قول بعضهم اقل ما قيل في العلوم التي في القران
من ظواهر المعاني المجموعة فيه اربعة وعشرون الف علم
وثمانماية علم وما حكي عن بعضهم من انه قال لكل اية ستون

الفهم وما بقي من فهمها اكثر وقول علي كرم الله وجهه لو شئت لاوقرت
سبعين بعيرا من تفسير الفاتحة قال بعض العارفين ويظهر وجه
ما قاله رضي الله عنه من خمسة كنوز الاول معنى الحمد لله رب العالمين
فيحتاج فيه الى بيان معنى الحمد وما يتعلق به ومعنى لفظ الجلالة
وما يليق به من التنزيه ومعنى الرب ومعنى العالم على جميع انواعه
واعداده الثاني معنى الرحمن الرحيم فيحتاج فيه الى بيان معنى هذين
الاسمين وما يليق بهما من الجلالة وحكمة اختصاص هذا الموضع
بهذين الاسمين فيحتاج في ضمن ذلك الى بيان جميع الاسما الثالث
معنى مالك يوم الدين فيحتاج لبيان هذا اليوم وما فيه من
المواطن والاهوال الرابع معنى اياك نعبد واياك نستعين فيحتاج فيه
الى بيان المعبود وجلاله والعبادة وكيفيتها وصفتها واديانها
على اختلاف انواعها والعابد وصفته والاستعانة وكيفيتها الخامس
معنى اهدنا الصراط المستقيم الى اخر السورة فيحتاج فيه الى بيان
الهداية وانواعها والصراط المستقيم وعقباته وصراط المنعم عليهم
والمغضوب عليهم والضالين وصفاتهم وما يتعلق بهذا النوع
وقوله وفوق جوهره في الحسن والقيم عطف على قوله كموج البحر
في مدد اي ولها معان فوق الجوهر المستخرج من البحر في حسنه
البديع وفي قدرها وشرفها وفوق ملازم للنصب على الظرفية
وان كانت مجازية ونحوه في التنزيل قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم
والضمير في جوهره للبحر والمراد بجوهره الدر المستخرج منه والحسن
ضد القبح والقيم بكسر القاف وفتح اليا جمع قيمة والمراد بها
هنا ما لها من القدر والشرف مجازا لانها في الاصل ما قطع به المقوم
وبذلك اندفع ما قد يقال ان معانيها قديمة على ما تقدم والقديم
لا يوصف بان له قيمة ووجه الاندفاع ان المراد بالقيمة القدر
والشرف لا المعنى الاصلي وفي هذا البيت الجمع ثم التفريق وهو ان

يدخل شيئين في معنى واحد ثم يفرق بينهما فقد ادخل هنا معاني القران والبحر
في المدد والكثرة ثم فرق بينهما بان حسنها وقدرها يزيدان على حسن
جوهره وقيمته قوله فلا تعد ولا تحصى فهذا البيت مفرع على البيت قبله
فالشطر الاول مفرع على الشطر الاول والثاني على الثاني وقوله عجائبها اي
معانيها العجيبة والعجائب جمع عجيبة وهي الشي العديم النظير او قليله وقوله
ولا تسام بضم التا وفتح السين المهملة بعدها الف لينة وفي اخره ميم
اي لا توصف وقوله على الاكثار اي مع الاكثار منها الذي لا غاية له فعلى
بمعنى مع وقوله بالسام بتشديد السين المهملة وفتح الهمزة اي الملل
والجار والمجرور متعلق بتسام وحاصل المعنى انه اذا كان لها معان كموج
البحر في الكثرة التي لا غاية لها وفوق جوهره في الحسن والقدر والشرف
ترتب على ذلك انها لا تعد ولا تحصى معانيها العجيبة لعدم تناهيها
ولا توصف بالملل مع الاكثار منها لحسنها فغيرها من الكلام ولو بلغ الغاية
فيما يليق به من الحسن والبلاغة يوصف بالملل مع الاكثار منه فيمل مع
الترديد ويعادى اذا اعيد بخلاف ايات القران كما ورد في الحديث فقاريها
لا يملها وسامعها لا يمجها بل الاكثار على تلاوتها يزيدها حلاوة ويورث
لها محبة وطلاوة قوله قرت بها اي سكنت واطمانت تلك الايات عين قاريها
بابدال الهمزة يا ساكنة لحصول السرور لها فان عين الحزين تكون مضطربة
وعين المسرور تكون ساكنة فقرت من القرار بمعنى السكون وقيل من القر
بضم القاف وهو البرد والمعنى عليه بردت بدمعة الفرح ولم تسخن بدمعة
الحزن عين قاريها والضمير المضاف اليه عائد على الايات التي هي
الالفاظ ان فسر قاريها بتاليها فان فسر بقاصدها من قرات اليه اي
قصدت اليه كان الضمير المذكور عائدا على المعاني وقوله فقلت لها اي
فلما قرت عينه بقراة الفاظها او بقصد معانيها قلت لقاريها
بمعنى تاليها او قاصدها وقوله لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم اي والله
لقد ظفرت بما يوصلك الى الله فامتنع ببركة قراته من عذاب الله او امتنع

باتباع اوامره واجتناب نواهيه من الوقوع في المخالفة المودية الى عقاب
الله تعالى نعوذ بالله من المخالفة فاللام موطئة للقسم وقد للتحقيق والحبل
استعارة تصريحية مرشحة لانه شبه القران بالحبل بجامع ان كلا سبب
يتوصل به الى الاشيا فالقران يتوصل به الى ثوابه والحبل يتوصل به
الى امور محسوسة واستعار اسم المشبه به للمشبه وذكر الاعتصام
ترشيح لانه يناسب المستعار منه وكذا ذكر قوله تعالى فقد استمسك
بالعروة الوثقى ففيه استعارة تصريحية مرشحة لانه شبه فيه الايمان
بالعروة واستعير العروة للايمان والاستمساك ترشيح لانه يناسب
المستعار منه قوله ان تتلها اي ان تقراها الى وقوله خفية اي خوفا
فيكون مفعولا لاجله او خائفا فيكون حالا وقوله من حر نار لظى
اي التي هي جهنم وقوله اطفاتا اي جواب الشرط وقوله نار لظى عبر به الاظهار
في مقام الاضمار لضرورة النظم وقوله من وردها بكسر الواو وسكون
الراء اي من موردها فمن للتعليل والورد بمعنى المورد وهو المحل الذي يورد
منه الماء وقوله الشبم بفتح الشين المعجمة المشددة وكسر الموحدة اي البارد
وفي الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الايات بالماء تشبيها مضمرا
في النفس بجامع الحياة بكل اذ الماء به حياة الاشباح والايات بها حياة
الارواح وبجامع اطفاء الحرارة بكل فالماء يطفي حرارة العطش والايات
تطفي حرارة نار جهنم اعاذنا الله منها بمنه وكرمه وطوي لفظ
المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو الورد والشبم ترشيح
لانه يناسب المشبه به وحاصل المعنى ان تقراها خوفا من حر
نار لظى او خائفا منه اطفات عنك بتلاوتها نار لظى من اجل موردها
البارد والشاهد لذلك ما في مسلم اقروا القران فانه ياتي يوم القيامة
شفيعا لاصحابه قوله كانها الحوض اي اي كان الايات المذكورة ماء الحوض
ففيه مجاز بالحذف او انه عبر باسم المحل واراد الحال به فيكون
فيه مجاز مرسل وجملة قوله تبيض لها حال من الحوض على حذف المضاف

السابق او المعنى الماء على ما علمت وقوله بجلا الوجوه اي ذو الوجوه فهو على تقدير
مضاف او انه عبر بالوجوه عن الذات من باب التعبير باسم الجزء وارادة
الكل وقوله به اي بالحوض وقوله من العصاة اي حال كونهم بعض العصاة
فمن للتبعيض ويحتمل انها بيانية وقوله وقد جاوه الى اي والحال انهم
قد جاوه اي فالواو للحال والضمير الفاعل راجع للعصاة والضمير المفعول
راجع للحوض وقوله كالحمم اي حال كونهم كالحمم بضم الحاء المهملة وفتح الميم الاولى
اي مثل الفحم فالحمم جمع حممة بمعنى فحمة ووجه تشبيهها بالحوض المذكور ان الايات
تشفع في تاليها وقد جا مسود الوجه من المعاصي فيبيض وجهه
بشفاعتها كما ان الحوض تبيض به وجوه العصاة حين يصب عليهم منه
بعد مجيئهم من النار كالفحم في السواد الذي اصابهم من النار فيعودون
بيضا كالقراطيس ثم يدخلون الجنة ومراده بالحوض نهر الحياة لان تلك
صفته لما في الخبر من اغتسال الجهنميين في نهر الحياة ففي خبر الصحيحين
فيخرجون منها اي من النار فيلقون في نهر الحياة وفي رواية فيصب
عليهم ماء الحياة وفي هذا البيت التلميح للخبر السابق قوله وكالصراط
الخ اي وهذه الايات كالصراط استقامة وانما حذف ذلك اعني استقامة
لدلالة المعنى عليه والمراد بالصراط الدين الذي لا اعوجاج فيه وهو
دين الحق او المراد به الجسر الممدود على متن جهنم الذي هو ادق من
الشعرة واحد من السيف وواسع في حق ناس ضيق في حق اخرين
على الخلاف في ذلك يسير الناس عليه الى الجنة على قدر اعمالهم فانه
خط مستقيم لا اعوجاج فيه بالنسبة لكل البعض من ابعاضه
الثلاثة لا بالنسبة لجملته لانه قد ورد انها الف سنة صعود
والف سنة استوا والف سنة هبوط وقوله وكالميزان معدلة
اي وكالميزان من جهة العدل فمعدلة بمعنى عدلا تمييز فان قيل ليس من
لوازم الميزان العدل اجيب بان ال في الميزان للعهد والمعهود هو الميزان
الذي يكون في يوم القيامة ومن لوازمه العدل والمعهود هو الميزان

المستقيم ولو كان في الدنيا وليست للاستغراق فيشمل كل ميزان وقوله
فالقسط من غيرها في الناس لم يعم اي فالقسط بكسر القاف الذي
هو العدل الماخوذ من غيرها لم يعم في الناس فان قيل العدل الماخوذ
من غيرها قد يعم في الناس كالماخوذ من السنة او الاجماع او القياس
اجيب بان ذلك ماخوذ منها ايضا اما الماخوذ من السنة فلقوله
تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واما الماخوذ
من الاجماع والقياس فلان مستندهما الكتاب والسنة والمراد
بالناس الخصوص والالزام ان لا تكون في اهل التوراة وغيرهم من اهل
الكتاب السماوية عدل وهو باطل **قوله** لا تعجبن اي لما وصف الايات
بما ذكره استشعر شخصا قال له على وجه التعجب اذا كانت الايات
بالمنزلة التي وصفت فكيف انكرها كثير من الكفار فقال له لا تعجبن
اي لا ينبغي العجب لانه اذا ظهر السبب بطل العجب وها هنا قد
ظهر السبب وهو الحسد فانه هو الذي دعاه الى انكارها تجاهلا
واظهار الجهل مع علمه في الواقع بما اشتملت عليه من انواع الاعجاز وقوله
لحسود متعلق بتعجب وقتفي الحسود ذو الحسد وقوله راح ينكرها
اي ذهب ينكر كونها من عند الله واصل راح سار بالعشي ثم استعمل
في الذهاب والمراد انه انكرها مع اتضاح دلالتها حتى صار كالاشيا المحسوسة
بحاسة البصر في نصف النهار الذي هو اول وقت الرواح وقوله تجاهلا
اي حال كونه متجاهلا اي مظهر الجهل فانكاره ليس لجهله حقيقة
بل للحسد وان كان قد اظهر الجهل وقوله وهو عين الحاذق الفهم
اي والحال انه عين الحاذق بالذال المعجمة اي الماهر الفهم بفتح الفاء وكسر
الهاء اي الشديد الفهم وح فانكارها عناد دعاه اليه الحسد فلا
عجب لانكارها للحسد واشار بقوله الفهم الى ان حذقه ليس ناشئا
عن طول التجارب والتكرار لكونه كان بليد الطبع بل حذقه مع كونه فاهما
بالاصالة ولا شك انه يحصل بالتمرين مع كونه فاهما بحسب الاصالة

ما لا يحصل مع كونه بليدا بحسب الاصالة وبهذا التقرير ظهر ان الفهم ليس
بمعناه الحاذق كما زعم بعضهم **قوله** قد تنكر اي لما ادعى ان انكارها للحسد
مع كونها متصفة بالمعجزات المذكورة اثبت ذلك بامرين محسوسين
الاول انكار العين ضوء الشمس من اجل الرمد القائم بها والثاني انكار الفم
طعم الماء من اجل السقم القائم به فكذلك انكار الايات من اجل الحسد القائم
بالمنكر فهاتان الجملتان مسوقتان للتعليل وكلامه على حذف مضاف
فيهما والتقدير قد ينكر ذو العين اي وقد ينكر ذو الفم اي لان المنكر في الحقيقة
انما هو صاحب كل منهما **قوله** يا خير من يمم اي لما مدحه صلى الله عليه
وسلم بما مدحه به مخبرا عنه على وجه الغيبة اقبل عليه بالخطاب
فقال يا خير من يمم اي يا خير كريم قصد العافون ساحته وهي حريم
داره الواسع حال كونهم ساعين بمعنى مسرعين في المشي ليحصلوا حاجتهم
اقرب وقت وحال كونهم راكبين فوق ظهور النوق التي ترسم الارض وتؤثر
فيها لحصول الحاجة سريعا وقصده بذلك الاستغاثة به صلى
الله عليه وسلم والتوطئة لذكر صفاته والعافون جمع عاف وهو الطالب
للمعروف والساحة حريم الدار الواسع وسعيا بمعنى ساعين والمتون
جمع متن وهو الظهر والانيق جمع ناقة واصله انوق قدمت الواو
على النون فصار انوق ثم قلبوها ياء فصار اينق وهذا جمع قلة
وجمع الكثرة نياق والرسم بضم الراء المشددة وضم السين جمع رسوم وهي
الناقة التي تؤثر في الارض من شدة الوطي عليها ومن هنا الى اخر قوله
وجل مقدارا اي خاصيتها لمن خاف ان يلومه السلطان على جناية وقعت
منه فليكتبها في جلد جمل ويجعله منشورا على صدره تحت الثياب
ويدخل على السلطان وهو يقول الله اكبر ثلاثا فانه لا يكلمه ابدا ومن
وقع بينه وبين زوجته خصومة او بين احد من احبابه فليكتبها
في جلد اسد ويجعلها في كور عمامته ويدخل على حبيبه وهو صامت
فان حبيبه يبدوه بالكلام ويكون محبا له واياك ان تفعل هذا للحرام

فاتقا الله قوله ومن هواذ اي ويامن هو اذ الخ فهو معطوف على المنادي
في البيت قبله واجاز بعضهم ان يكون معطوفا على من في قوله يا خير من آخره والاول
هو الظاهر وعليه فمن هنا واقعة عليه صلى الله عليه وسلم وحده
بخلافه على الثاني فانها عليه واقعة على جنس متعدد يشمل النبيين والملائكة
وقوله لاية الكبرى لمعتبر اي الاية الكبرى التي هي اكبر الايات لمتامل ومعتبر
لانه صلى الله عليه وسلم بعث بالسنن التي لا تحصي وبالعلوم التي لا تستقصى
الى قوم مغمورين في الجهالة والضلالة قد بلغ من جهلهم وضلالتهم ان يعبدوا
الاصنام فدلهم على الله وارشدهم الى ما لا ينال الا بتخصيص من المولى الوهاب
فمن تامل ذلك عرف انه الاية الكبرى اي الدليل الاعظم على ان ما جابه حق
قال تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقوله ومن هو اذ اي ويا من
هو اذ فهو معطوف على المنادي في البيت قبله ويحتمل انه معطوف على من
على ما قاله بعضهم كما علمت في نظيره وقوله النعمة العظمى لمغتنم اي النعمة
العظمى التي هي اعظم النعم لمريد ان يغتنم ما عند الله من السعادة الابدية لانه صلى
الله عليه وسلم انقذ الخلائق من النار ومن الدخول في دار البوار بالبيان
الواضح والبرهان الناصح فمن اراد ان يغتنم فهو صلى الله عليه وسلم النعمة العظمى
له ولسائر العالمين قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قوله سريت
الى كانه قال ومن معجزاتك انك سريت اي ومعنى سريت سرت ليلا لان السرى هو
السير ليلا واسرى بمعنى واحد وقال السهيلي سرى لازم واسرى متعدي لكن
كثر حذف مفعوله فظن اهل اللغة انهما بمعنى فالمفعول في قوله تعالى سبحان
الذي اسرى بعبده محذوف والتقدير اسرى البراق بعبده فحذف
المفعول استغنا عنه بذكر محمد صلى الله عليه وسلم لانه المقصود بالخبر وحذف
لقوة الدلالة عليه وقوله من حرم اي حرم مكة وقوله ليلا اي في ليل فان قيل
اذا كان معنى سريت سرت ليلا ومعنى اسرى بعبده جعله ساريا اي
سائرا ليلا فما فائدة قوله بعد ذلك ليلا اجيب بان فائدته في النظم والاية
التاكيد كما قاله الجوهري والاعلام بانه في جزء من الليل كما قاله الزمخشري

بقرينة

٤٧

بقرينة تنكيره لانه للتقليل ولو لم يذكر لاحتمل ان يكون ذلك في الليل كله وليس
كذلك قاله الزمخشري ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعضه
وانما خص الليل بذلك دون النهار لانه وقت تفريغ البال وقطع العلائق وقيل
لان الله تعالى لما محى اية الليل وجعل اية النهار مبصرة انكسر خاطر الليل فجبر
بان اسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم ولذلك قيل افتخر النهار على الليل بالشمس
فقيل لا تفتخر فان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج بشمس الارض في الليل
الى السما وقيل لانه سراج والسراج انما يوقد في الليل وقيل لانه سمي بدرا في قوله
تعالى طه فان الطا بتسعة والها بخمسة وذلك اربعة عشر فكانه تعالى قال
يا بدر وهذا يناسب قول الناظم كما سرى البدر ولله در القائل حيث قال

يا سيدي ولم تؤثر الليل ... على بهجة النهار المنير
قال لا استطيع تغيير رسمي ... هكذا الرسم في طلوع البدور
انما زرت في الظلام لكيما ... يشرق الليل من اشعة نوري

وقوله الى حرم اي حرم بيت المقدس وقوله كما سرى البدر اي مثل سير البدر
الذي هو القمر ليلة كماله وهي ليلة اربعة عشر سمي بذلك لانه يبدر الشمس في الطلوع
ووجه التشبيه انه صلى الله عليه وسلم نور مبين كالبدر ودائم وقد قطع مسافة
عظيمة في ليل مظلم كما سرى البدر المنير في ليل مظلم مع سرعة السير وكمال الانارة
والداج اسم للليل المظلم يقال دجى الليل اي اظلم فهو داج اي مظلم فقوله من الظلم
تكملة اي من ذي الظلم بضم الظا وفتح اللام جمع ظلمة ومن للبيان المشوب
بالتبعيض وفي هذا البيت اشارة الى قصة الاسرى وقد ذكرها الله
تعالى بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى الذي باركنا حوله وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم كان في بيته
او في المسجد على اختلاف الروايات في ذلك فجاءه جبريل وميكائيل ومعهما
ملك اخر فاحتملاه وشقا صدره وغسله جبريل وملاه علما وحكمة
وايمانا ويقينا ثم اتى له بالبراق فركبه وسار وجبريل عن يمينه
وميكائيل عن يساره حتى وصل الى بيت المقدس الخ قوله حتى رقيت اي عطف

علي قوله سريت لي اي وبعد وصولك الي بيت المقدس بت ترقي اي تصعد
فانه صلى الله عليه وسلم نصب له معراج له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب
وهو الذي تعرج عليه ارواح المومنين فدليت له مرقاة فصعد عليها
الي سما الدنيا فاستفتح جبريل الباب فقيل من بالباب قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل اوقد ارسل اليه قال نعم مرحبا به واهلا ونعم
المجي جا فلما جاوز السما الدنيا الاولي دليت المرقاة الثانية فصعد
عليها الي السما الثانية وهكذا الي السما السابعة ثم الي الكرسي ثم الي
سدرة المنتهي ثم الي مستوي سمع صريف الاقلام ثم دلي الرفرف وهو سحابة
خضرا فصعد عليها ما شا الله تعالي وهذا المكان هو الذي عدة الله
للخطاب وفرض الصلوات والا فالله تعالي منزه عن المكان وقوله الي ان
نلت منزلة غاية لما قبله اي الي ان اعطيت مرتبة في القرب وقوله من قاب
قوسين بيان للمنزلة لكن في العبارة قلب والاصل من قابي قوس اي من قدر
ما بين قابي القوس لان كل قوس له قابان وبينهما شي قليل جدا فبينهما
غاية القرب فكذلك بينه صلى الله عليه وسلم وبين المولي فبينهما غاية القرب
لكن المراد هنا القرب المعنوي وقوله لم تدرك بالبنا للمجهول اي لم يدركها
غيرك وقوله ولم ترم بالبنا للمجهول ايضا اي لم يرمها غيرك ولم يطلبها
للعلم بانها ليست الا لك وفي هذا البيت اشارة الي قصة المعراج
وقد ذكرها الله تعالي بقوله ثم دني فتدلي فكان قاب قوسين
او ادني وقد علمت حاصلها **قوله** وقدمتك الخ عطف علي قوله سريت لي
ايضا ثم انه يحتمل ان المراد التقديم في الرتبة والمكانة كما يدل عليه قوله
تقديم مخدوم علي خدم وذلك لان الله تعالي قد اطلعهم علي منزلته
صلى الله عليه وسلم بالوحي في مدة حياتهم كما يدل عليه قوله تعالي واذ اخذ
الله ميثاق النبيين الاية ويحتمل ان المراد التقديم في الحس والخارج
كما يدل عليه ما روي من انه حشر له جميع الانبيا والرسل ليلة الاسري
وصلي بهم في المسجد الاقصي بعد ان اثني كل علي ربه بما هو اهله وكان

صلى الله

٤٩

الله عليه وسلم اخرهم في ذلك فاثني علي الله بما الهمه به فقال ابراهيم عند
ذلك بهذا فضلكم محمد وذلك كان قبل المعراج علي المشهور ولا يخفي ان الكاف
مفعول وجميع الانبيا فاعل والحق الفعل التا لان جميع في معني جماعة او الاضافة
الي جمع التكسير الذي يجوز تانيثه وقوله جميع الانبيا بالمد وقوله بها اي
بتلك المنزلة والليلة المفهومة من قوله ليلا وقوله والرسل اي وجميع الرسل
فهو بالجر معطوف علي الانبيا ويحتمل انه بالرفع معطوف علي جميع وعلي الاول
فهو صريح في العموم وعلي الثاني فهو ظاهر فيه وهل كانت الانبيا والرسل
باجسامهم وارواحهم او بارواحهم فقط والراجح انهم كانوا بارواحهم فقط الا
عيسي وادريس فانهما كانا بروحهما وجسمهما وبعضهم رجح ان الانبيا جميعا كانوا
باجسامهم وارواحهم وعطف الرسل علي الانبيا من عطف الخاص علي العام كما هو
المشهور لشرفهم وقوله تقديم مخدوم علي خدم اي تقديما مثل التقديم مخدوم علي
خدم فهو بالنصب علي المصدرية لكن علي وجه التشبيه **قوله** وانت تخترق
الي اي وقدمتك جميع الانبيا والحال انك تخترق بمعني تقطع السموات السبع
الطباق اي التي هي طبقة فوق طبقة فالواو للحال لكنها حال منتظرة لا مقارنة
ووصف السموات بانها طباق ماخوذ من قوله تعالي سبع سموات طباقا
اي طبقة فوق طبقة ~~فالواو للحال لكنها حال منتظرة لا مقارنة~~ وقوله بهم اي حال
كونك مارا بهم يعني بالذي لقيته منهم ففي حديث ليلة الاسري في مسلم انه مر
في السما الدنيا بادم وفي الثانية بعيسي ويحيي وفي الثالثة بيوسف وفي الرابعة
بادريس وفي الخامسة بهارون وفي السادسة بموسي وفي السابعة
معهم بابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وفي موكب بكسر الكاف اي
حال كونك في موكب فهو حال وهو خبر ثان لانت والموكب الجمع العظيم المتلبس
بهيئة عظيمة وقد كان معه صلى الله عليه وسلم جبريل وما لعظمهما واعظم
هيبتهما وجملة كنت فيه صاحب العلم صفة لموكب اي كنت فيه المشار
اليه لان العلم الرمح وفي راسه راية ومن شان صاحبه ان يشار اليه وهو
المراد فاطلق اسم الملزوم واريد اللازم او المعني علي التشبيه وكان جبريل يستفتح

في كل سما فيقال له ومن معك فيقول محمد كما تقدم وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم هو المشار اليه في ذلك الموكب قوله حتى اذا لم تدع شأوا لمستبق لقوله وانت تخترق واذا ظرفية مجازية اي الى مقام القرب وقوله لم تدع شأوا لمستبق اي لم تترك غاية لطالب سبق فلم تدع بمعنى لم تترك والشأو والمستبق بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة وفي اخره واو اي غاية والمستبق طالب السبق وهو الساعي لسبق والجار والمجرور متعلق بشأوا وقوله من الدنو بيان للشأو اي من القرب وقوله ولا مرقى لمستنم اي ولم تدع مرقى لمستنم والمرقى محل الرقي وهو الدرجة والمستنم طالب الرفعة وهو الساعي لها والجار والمجرور متعلق بمرقى وحاصل المعنى انه صلى الله عليه وسلم لم يزل يصعد الى مقام القرب فلم يترك فيه غاية من القرب لطالب السبق ولم يترك درجة لطالب رفعة وذلك المقام هو اعلى مقامات القرب وهو المعبر عنه فيما تقدم بقاب قوسين قوله خفضت كل مقام الى هذا البيت جواب اذا في البيت قبله اي خفضت كل رتبة لغيرك وقوله بالاضافة اي بالنسبة الى مقامك لا مطلقا والا فالانبيا كلهم متصفون بالكمال لكنه صلى الله عليه وسلم الاكمل فمقام غيره منخفض بالنسبة لمقامه لم يرتفع عن مقام كمل المخلوق وان كان ذلك المقام المنخفض مرتفعا في نفسه وانما انخفض بالنسبة لمقامه صلى الله عليه وسلم واياك ان تعتقد ان غيره صلى الله عليه وسلم من الانبيا ليس متصفا بالكمال لان ذلك كفر فالواجب عليك ان تعتقد انهم متصفون بالكمال لكن نبينا اكمل وقوله اذ نوديت بالرفع اي لانك نوديت من قبل الله تعالى نداء مصحوبا برفع شانك الى ما لم يصله احد غيرك وهو اعلى مقامات القرب فاذ للتعليل وقيل ظرف للزمان الماضي وقوله مثل المفرد العلم اي حال كونك مماثلا للمفرد العلم من حيث الاختصاص بكونه نودي نداء مصحوبا برفع لعظمه فكما ان المفرد العلم خص بكونه نودي نداء مصحوبا بالرفع من بين اقسام المنادى فان ما عداه منها منصوب كذلك صلى الله عليه وسلم خص بكونه نودي نداء مصحوبا بالرفع من بين سائر

الانبياء

الانبيا فان ما عداه منهم مخفوض المقام بالنسبة لمقامه صلى الله عليه وسلم فان قيل المفرد العلم انما نودي بالبناء على الضم لا بالرفع حتى يتم التشبيه اجيب بان البناء على الضم رفع في المعنى والمراد بالمفرد العلم المعرفة من اطلاق الخاص وارادة العام لان النكرة المقصودة من اقسام المعرفة عند المحققين فانها تتعرف بالقصد والاقبال عليه كالمشار اليه وذلك كما في قولك مقبلا على رجل مخصوص يا رجل فالمقصود رجل معين لا شائع في جنسه والظاهر ان التشبيه بالمفرد العلم انما هو في النداء بالرفع خاصة لا في خفض مقامات غيره قوله كيما تفوز اي لكيما تفوز فاللام مقدرة قبل كي فتكون مصدرية وعلى هذا فكي هي الناصبة للفعل بنفسها ويحتمل ان اللام ليست مقدرة قبلها فتكون تعليلية وعلى هذا فالناصب للفعل ان مقدرة بعدها لا هي بنفسها على الصحيح وما زائدة على الوجهين وعلى كل من الوجهين فهو علة لقوله سريت وبت اي فالمعنى فعلت ذلك لاجل ان تفوز اي تظفر بوصل من الله لك حيث احلك المنزلة التي رفعك اليها وناداك الى الصعود اليها وقوله اي مستتر عن العيون بتشديد تاء وجرها على انها صفة لوصل وهو دال على معنى الكمال اي وصل كامل في الاستتار عن العيون وقوله وسر اي مكتتم بتشديد تاء وجرها على انها صفة لسر وهو دال على معنى الكمال اي سر كامل في الاكتتام عن الخلق ولا يخفى ان كلا من مستتر ومكتتم بصيغة الفاعل وبعضهم ضبطها مكتتم بفتح التاء الثانية وهو ماخوذ من قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى كما يدل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها حيث قالت يا رسول الله ما الذي اوحى اليك ربك اذ قال فاوحى الى عبده ما اوحى فقال يا عائشة اتريدين ان تعلمي ما لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل ولا نبي مرسل ولا ملك مقرب فقالت اسالك بابي بكر الا ما اعلمتني فقال اني لما كنت قاب قوسين قلت اللهم انك عذبت الامم كلهم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالمسخ وبعضهم بالخسف فما انت فاعل بامتي فقال انزل عليهم الرحمة من عنان

السما وابدل الحسنات ومن دعاني منهم لبيته ومن سالني اعطيته
ومن توكل علي كفيته وفي الدنيا استر علي العصاة وفي الاخرة اشفعك
فيهم ولولا ان الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت امتك ولما اردت ٩٩
الانصراف قلت يارب لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة امتي قال الله
تعالي انا لهم ما عاشوا وانا لهم اذا ما توا وانا لهم في القبور وانا لهم في النشور
كذا في بعض الشروح وذكر جمع من الشراح ما نصه وهذا الشرح ماخوذ
من حديث علمني ربي ليلة الاسرا علوما شتي فعلم اخذ علي كتمانه وعلم
خيرني فيه وعلم امرني ان ابلغه قال علي رضي الله عنه فكان يسر الي ابي
بكر وعمر وعثمان والي ما خير فيه اهـ لكن لم يوقف علي اصل لذلك في كتب
الحديث **قوله** فحزت اي فبسبب ما نلت من ذلك المرتبة حزت اي
والحيازة بالحا المهملة الجمع فمعني حزت جمعت وقوله كل فخار مفعول لحزت
والفخار بفتح الفا لغة كما هو المسموع وان كان القياس الكسر لقول ابن مالك في الخلاصة
لفاعل الفعال والمفاعلة ◦ وغير ما مر السماع عادله ◦
وهو ما يفتخر به من الفضائل وقوله غير مشترك اي بينك وبين غيرك
بل هو مختص بك وقوله وجزت بالجيم والزاي اي عبرت وتجاوزت وقوله
كل مقام مفعول لجزت والمقام الرتبة وقوله غير مزدحم بفتح الحا اي غير
مزدحم فيه لعدم الواصلين اليه وهو من باب الحذف والايصال ولا يخفي
ان لفظ غير في الموضعين مجرور علي انه صفة للمجرور قبله وحاصل المعني
فبسبب ما نلت من تلك المرتبة جمعت كل ما يفتخر به من الفضائل المختصة
بك وعبرت وتجاوزت كل رتبة غير مزدحم فيها لانه لا يصل اليها
غيرك **قوله** وحل اي اي عظم ذلك فلا يحاط به وقوله ما وليت بالبناء
للمفعول اي ما ولاك الله وقوله من رتب بيان لما والرتب المنازل
الشريفة وقوله وعز بفتح العين وتشديد الزاي اي امتنع ذلك فلا يحصل
لاحد غيرك وقوله ما اوليت بالبنا للمفعول اي ما اولاك مولاك وقوله
من نعم بيان لما والمراد من النعم الامور العظيمة المنعم بها وكل من الجملتين اما

مستانف

مستانف او معطوف علي ما تقدم **قوله** بشري لنا اي اي هذه المناقب
بشري لنا اي فبشري خبر مبتدا محذوف ولنا صفة له ويحتمل ان بشري
مبتدا ولنا خبر وساغ الابتدا ببشري لانها في معني النكرة الموصوفة
فانها بمعني الخبر السار وقوله معشر الاسلام اي معشر اهل الاسلام وهو
منصوب علي الاختصاص اي اخص معشر الاسلام وقوله ان لنا من العناية
ركنا غير منهدم اي ان لنا جميع المسلمين من اجل العناية بنا في الازل
شريعة غير متغيرة بالنسخ فالمراد بالركن الشريعة علي سبيل الاستعارة
التصريحية الاصلية حيث شبه الشريعة بمعني الركن بجامع الثبات
في كل واستعار اسم المشبه به للمشبه والمراد بالانهدام التغير لكن لا مطلقا
بل بخصوص النسخ اماتنا الله علي سنته واتباع ملته بمنه وفضله ورحمته
قوله لما دعي الله اي لما سمي الله ولا يخفي ان لما شرطية ودعي فعل الشرط
والله فاعل وداعينا مفعول ولطاعته متعلق بداعينا وباكرم الرسل
متعلق بدعي وكنا اكرم الامم جواب الشرط والمعني لما سمي الله النبي صلي الله
عليه وسلم الذي دعانا اي طلبنا الطاعة تعالي باكرم الرسل كنا معشر
امته صلعم اكرم الامم لان اكرم الرسل لا يبعث الا لاكرم الامم وفي التنزيل
كنتم خير امة اخرجت للناس وجعل بعض الشراح داعينا بدلا من
الفاعل وجعل لطاعته متعلقا بدعي والمعني عليه لما دعانا الله
وهو داعينا لطاعته بواسطة اكرم الرسل كنا اكرم الامم والاول اقرب
كما لا يخفي **قوله** راعت اي اي فزعت اي وهذه الجملة مستانفة وقلوب
بالنصب مفعول مقدم لراعت لكن علي تقدير مضاف اي اصحاب قلوب
ويحتمل انه سمي الذوات بالقلوب فيكون قد عبر باسم الجزء واراد الكل علي
سبيل المجاز المرسل والعدا بالكسر والقصر جمع عدو والمراد بهم الكفار وانبا
بعثته بالرفع فاعل مؤخر لراعت ولا يخفي ان اسناد راعت الي انبا
البعثة من المجاز العقلي لان موجد الروع في القلوب هو الله تعالي وانبا
بعثته انما هو سبب فهو من اسناد الفعل الي سببه والمراد بانبا

بعثته اخبارها التي صدرت من الكهان والاحبار وغيرهم كقولهم انه سيظهر
دين يغلب كل دين وانما افزعتهم لغفلتهم عنها كما يؤخذ من التشبيه بعد
ولو كانوا ملتفتين لها ما افزعوا منها وقوله كنبأة اي مثل نبأة اي زأرة
الاسد التي هي صوته وجملة اجفلت بالجيم والفا اي افزعت صفة لنبأة
وغفلا بضم الغين وسكون الفا جمع غافل وهو مفعول لاجفلت وقوله من
الغنم بيان لغفلا مشوب بتبعيض وانما كانت غفلا لكونها راتعة في ربعها
مستغلة في اكلها وشهواتها فاجفلها ذلك الصوت وفرقها قوله مازال اي
اي لم ينفك صلى الله عليه وسلم عن كونه تلقاهم بنفسه تارة وبخيله ورجله اخري
في كل معترك وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم وتلقاهم بالاستقبال والجار
والمجرور متعلق به والمعترك بفتح الرا محل الاعتراك اي الازدحام للحرب
وقوله حتى اي بمعنى غاية لقوله مازال يلقاهم في كل معترك وقوله حكوا بفتح
الكاف لان اصله حكيوا قلبت اليا الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت
الالف لالتقا الساكنين ومعنى حكوا اشبهوا وقوله بالقنا اي بطعن القنا
فهو على تقدير مضاف والبا للسببية اي بسبب طعنهم بالقنا وكذا بسبب
ضربهم بالسيوف ورميهم بالنبل والقنا جمع قناة وهي الرمح ولحما مفعول لقوله
حكوا وقوله على وضم متعلق بمحذوف صفة للحما والوضم بالضاد المعجمة
ما يضع القصاب اللحم عليه معدا لمن ياخذه وهو الم[illegible] والمسمي بالطبلية
وقيل انه الحديد الذي يغرز فيه اللحم حين يشوى ليؤكل وحاصل المعنى انه صلى
الله عليه وسلم ما زال يقاتل الكفار حتى تركهم قتلى معدين لاكل السباع
والطيور لحومهم ويقال للذليل الحقير لحم على وضم بطريق الاستعارة ويحتمل
ان يكون هو المراد هنا كالحقيقة قوله ودوا الفرار اي تمنوا الهرب منه
صلى الله عليه وسلم وانما تمنوه مع انه اقبح الخصال واذمها عند العرب فانه
من افعال اللئام وما كانوا يرضون به فضلا عن تمنيه لما استمر فيهم من القتل
ولما كثرت ودادتهم للفرار وصار من شهواتهم المطلوبة لهم ولان حب فرارهم
من غضب الله تعالى الذي حل بهم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيد
المومنين

المومنين نزل هربهم منزلة المحال الذي لا ينال الا بالتمني وقوله فكادوا يغبطو
به اشلا شالت مع العقبان والرخم اي فلتمنيهم ذلك قربوا من ان يغبطوا
لذلك الفرار اشلا على وزن اشيا اي اعضا شالت اي ارتفعت حال كونها
مع العقبان بكسر العين جمع عقاب وهو نوع من الطير ومع الرخم جمع
رخمة وهي نوع من الطير ايضا وانما خص هذين النوعين لعظم ارتفاعهما
دون غيرهما والغبطة هي تمني الشخص ان يحصل له مثل ما حصل لغيره فكانهم
يقولون يا ليت لنا ما لاعضا اللحم التي ارتفعت مع العقبان والرخم من
منازلها واشلا جمع شلو بكسر السين وسكون اللام وهو العضو من اللحم
وانما غبطوا الاعضا دون العقبان والرخم التي ارتفعت بها لما بينهم وبين
تلك الاعضا من المشابهة لانهم لا حركة لهم ولا قوة بسبب طعن القنا وضربهم
وغيره فحالهم كحالة الاعضا لا كحالة العقبان والرخم قوله تمضي الليالي
اذ اي تمر عليهم الليالي بايامها والحال انهم لا يعلمون عددها من شدة ما دخل
في قلوبهم من الفزع وخامر بواطنهم من الهلع بسبب جهاد النبي صلى الله عليه وسلم
والمومنين لهم فيسكرون من الخوف وتذهب عقولهم وبعدم تمييزهم فلا يدرو
عدة الايام بلياليها وعلم مما تقرر ان الواو في قوله ولا يدرون عدتها واو
الحال وقوله ما لم تكن من ليالي الاشهر الحرم اي ما لم تكن تلك الليالي
من ليالي الاشهر الحرم التي هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب بخلاف ما اذا
كانت تلك الليالي من ليالي الاشهر الحرم المذكورة فانها تمضي عليهم ويدرون
عدتها لكونهم يفيقون من سكرهم من الخوف وترجع اليهم عقولهم وتوجد لهم
تمييزهم لامساك النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين عن جهادهم في الاشهر الحرم
في صدر الاسلام عند من راي ان منع قتالهم فيها ناسخ وقال عطا لم ينسخ
وهو ضعيف وما ذكرناه في عد الاشهر الحرم هو الصحيح وقيل هي المحرم ورجب
وذو القعدة وذو الحجة وعلى الاول فهي من سنتين وعلى الثاني فهي من سنة
ويترتب على الخلاف ما لو نذر صومها صوما مرتبة فيصوم على الاول ذا القعدة
اولا الي اخرها ويصوم على الثاني المحرم الي اخرها قوله كانما الدين اي كانما دين

الاسلام ضعيف حل ونزل ساحة الكفار فالضمير في ساحتهم عائد على الكفار
كما قاله بعض الشارحين وهو قضية الشباب او ساحة الصحابة فالضمير
في ذلك راجع للصحابة كما قاله بعض الشارحين وهو المسموع من المشايخ وقوله
بكل قرم بفتح القاف وسكون الراء مع كل شجاع لان هذا الصنف الذي وقع
التشبيه به شجاع فلذا نزل مع شجعان امثاله فالبا بمعنى مع والقرم بفتح فسكون
الشجاع وقوله الي لحم العدا قرم بفتح القاف وكسر الراء شديد الشهوة الى لحم
العدا المسلمين فالقرم بفتح فكسر شديد الشهوة والجار والمجرور متعلق
به وحاصل المعنى على جعل الضمير في ساحتهم عائدا على الكفار كانما دين
الاسلام ضيف حل ساحة الكفار مع كل شجاع شديد الشهوة الى لحم العدا
المسلمين ومن شان الضيوف اذا كانوا كراما ان يشبعوا عند المضيف لهم
مما يشتهون وتنبه على هذا اقامة الظاهر مقام المضمر والا فكان مقتضى
الظاهر ان يقول الى لحمهم ونكتة التصريح بوصفهم بالعداوة للمسلمين
وحاصل المعنى على جعل في ساحتهم راجعا الى الصحابة كانما دين الاسلام
ضيف حل ساحة الصحابة مع كل شجاع شديد الشهوة الى لحم العدا المسلمين
ومن شان المضيف ان يشبع ضيوفه مما يشتهون وعلى كل فالغرض من ذلك الاخبار
بكثرة القتل في الكفار **قوله** يجر اي يستتبع هذا القرم بفتح القاف وسكون
الراء الذي هو الشجاع فالمراد بالجر هنا الاستتباع فيكون قد شبه الاستتباع
بالجر واستعار اسم المشبه به للمشبه ثم اشتق منه يجر بمعنى يستتبع ويحتمل
انه شبه الخميس الذي هو كالبحر بدابة تجر برسن تشبيها مضمرا في النفس وحذف
اسم المشبه به ورمز اليه بشي من لوازمه وهو الجر فهو تخييل للاستعارة بالكناية
وقوله بحر خميس اي خميسا كالبحر في تموجه واهلاكه الكفار فهو من اضافة المشبه
به للمشبه والخميس هو الجيش العظيم سمي بذلك لانه مركب من خمس فرق مقدمة
وميمنة وميسرة وساقة وقلب وقوله فوق سابحة اي كائن فوق خيل
سابحة اي مسرعة في طلب الكفار كالسابح في البحر وقوله يرمي بموج اي صفة للخميس
والمراد بالموج ما يصل الى الكفار من الطعن والعثر وغيرهما فيكون قد شبه

ذلك

ذلك بمعنى الموج واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق التصريح وقوله من ابطال
اي صار ذلك الموج من الابطال وانما لم يقل منهم مع ان الابطال نفس الجيش للاشارة
ان ذلك الجيش كله ابطال والابطال جمع بطل وهو الشجاع وقوله ملتطم صفة
للموج اي ملتطم بعضه ببعض **قوله** من كل منتدب اي الجار والمجرور بدل من الجار
والمجرور قبله اي من كل مجيب بخف فالمنتدب بكسر الدال على انه اسم فاعل وضبطه بعض
الشراح بفتحها على انه اسم مفعول بمعنى مدعو وعلى كل فقوله لله متعلق به وقوله
محتسب اي مدخر ثواب عمله عند الله وقوله يسطو اي يصول وقوله بمستاصل
للكفر اي بالة مستاصلة لاهل الكفر كالسيف وغيره من الة القتال اي مزيل
لهم من اصلهم يقال استاصله اذا ازاله من اصله وقوله مصطلم اي مهلك لهم
يقال اصطلمه اذا اهلكه وفي الصحاح الاصطلام الاستيصال وعليه فهو تاكيد
قوله حتى غدت اي وما زال هذا المنتدب يسطو بالمستاصل لاهل الكفر
الى ان غدت اي فهو غاية لمحذوف وغدت بمعنى صارت وهو بالغين المعجمة
وقوله ملة الاسلام اي ملة هي الاسلام فالاضافة في ذلك من اضافة الاعم
الى الاخص لان الملة تشمل سائر الاديان وقوله وهي بهم اي وهي مصحوبة بالصحابة
والجملة اعتراضية بين اسم غدت وهو ملة الاسلام وخبرها وهو موصولة الرحم
وقوله من بعد غربتها متعلق بغدت بمعنى صارت والمراد بغربتها عدم شهرتها
لقلة من ينتمي اليها وقوله موصولة الرحم بالنصب على انه خبر لغدت لما علمت
والمراد بكونها موصولة الرحم كثرة القيام بحقها بسبب كثرة من ينتمي اليها
ويذب عنها وقد شبه كثرة القيام بحقها بوصل الرحم واستعار اسم المشبه به
للمشبه واشار بذلك الى حديث مسلم بدا الاسلام غريبا اي ظهر بين قوم لا يقومون
بحقه فهو مقطوع الرحم ثم قامت الصحابة بحقه فصار موصول الرحم **قوله**
مكفولة اي اي محفوظة اي وهو خبر ثان لغدت وقوله ابدا ظرف لقوله مكفولة وقوله
منهم اي من الكفار وقوله بخير اب وخير بعل وهو النبي صلى الله عليه وسلم فانه اشفق
على امته من الاب على اولاده واقوم بمصالحهم من البعل على زوجاته ومثله صلى الله
عليه وسلم من يقوم مقامه من الخلفا الراشدين والعلما المهذبين ولا شك ان المراة

التي كفلها خير اب وخير بعل في غاية من المكانة ورفاهية من العيش وقوله
تيتم بفتح التاء الثانية وسكون المثناة التحتية بينهما اي من جهة الاب وقوله
ولم تيئم بفتح التاء وكسر الهمزة اي من جهة البعل ففي ذلك لف ونشر مرتب
يقال يتم الولد بكسر التاء ييتم بفتحها اذا مات ابوه وهو صغير ويقال امت المراة
تئيم كباعت تبيع اذا خلت من زوجها ومنه قوله تعالى فانكحوا الايامى منكم
قوله هم الجبال الخ هذه جملة مستانفة استينافا بيانيا لانها جواب عما يقال
من الذين صارت بهم الملة الى هذه الحالة والكلام على التشبيه اي هم كالجبال
في الصبر والصلابة وهذا يسميه البيانيون تشبيها بليغا لا استعارة
وقوله فسل عنهم مصادمهم اي ان ارتبت في هذا فسل عنهم من صادمهم من اعدائهم
ولعل مراده فسل عنهم مؤرخ اخبار مصادمهم او فسل مصادمهم على تقدير حياته
والا فكيف يتصور سؤاله الان وقد بانا من مدة مئين من السنين حتى عاد رفاتا
والمصادمة اصطكاك الصفين وقوله ماذا راى منهم اي من الشدة التي لا توصف
لعظمها وما اسم استفهام مبتدا وذا اسم موصول خبر الخ اي شي الذي راى ويصح
ان يكون ماذا بتمامها اسم استفهام وعلى هذا فهو مفرد بخلافه على الاول فهو
جملة وقوله في كل مصطدم بفتح الدال اي كل مكان الاصطدام الذي هو اصطكاك
الصفين كما مر والمراد بالمصطدم الاماكن التي التقوا فيها مع اعدائهم وبين
مصادمهم ومصطدم تجنيس الاشتقاق وهو رد الصدور على الاعجاز ومن هنا
الى اخر قوله طارت قلوب العدا الخ مما من كتبها على باب بلد او دار او بستان
ما دامت مكتوبة لا يصل الى ذلك سارق ولا دود ولا غير ذلك قال قائل
هذه الفائدة قد جربت في القمح والشعير وغيرهما وقال ابن كثير كتبت هذه
الابيات على باب دار فجا السارق فسمع صوتا في الدار فرجع ثم قال لاصحابه
ذلك فاخبروه بان صاحب البيت غائب فجمعتني ثم رجع ثاني ليلة فسمع فيه
صوتا يقول له ما غبت شيئا وسفه الله ببركة هذه الابيات قوله وسل
حنينا اي وسل زمن غزوة حنين وسل زمن غزوة بدر وسل زمن غزوة احد
ويحتمل ان يكون مراده وسل اهل حنين وسل اهل بدر وسل اهل احد او وسل
مؤرخ

مؤرخ وقعة حنين وسل مؤرخ وقعة بدر وسل مؤرخ وقعة احد والا
الاول اولى لان قوله فصول حتف الخ بدل من حنين وما عطف عليه بدل اجمال من
مفصل وبعضهم جعله خبر مبتدا محذوف اي هي فصول الخ ومعنى قوله فصول لتفسير
حتف لهم ازمنة موت للكفار وقوله ادهى من الوخم اي اشد داهية عليهم لما ٤٩
يصيبهم فيه من الوخم الذي هو الوبا فان ما يموت منهم في زمن الوبا مع تطاوله
لا يبلغ كثرة من يموت منهم في زمن مقاتلة المؤمنين لهم مع قصره كالساعة
الواحدة وكانت غزوة حنين في بعد فتح مكة سنة ثمان وهو اسم لواد بين
مكة والطائف وفيه التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون مع
المشركين فانهزم الكفار وقتل منهم كثير وسبيت اموالهم ونساؤهم وكانت
غزوة بدر من غير قصد من المسلمين اليها في يوم الجمعة سنة ثنتين
وبدر اسم ما على طريق مكة بينه وبين المدينة ثمانية وعشرون فرسخا
وعنده كانت هذه الغزوة وقتل فيها من صناديد قريش سبعون واسر
منهم سبعون وكان عددهم نحو الالف والمسلمون نحو ثلاثمائة وروي انه نزل جبريل
عليه السلام في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في صورة الرجال على خيل بلق
عليهم ثياب بيض وعلى رؤوسهم عمائم بيض قد ارخوا اطرافها بين اكتافهم ولم تقاتل
الملائكة في سوى يوم بدر وانما يكونون عددا ومددا وكانت غزوة احد في شوال
سنة ثلاث وهو اسم لجبل بالمدينة كانت الوقعة فيه واستشهد فيها من المسلمين
سبعون منهم حمزة وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلا وكان المسلمون
سبعمائة والمشركون ثلاثة الاف والحرب سجال واحدة لنا وواحدة علينا
قوله المصدري البيض الخ اي امدح المصدري البيض الخ فهو معمول الفعل محذوف
واصله المصدرين لكن حذفت نونه للاضافة ان جعلنا المصدري مضافا
للبيض وللتخفيف ان جعلناه غير مضاف والمصدرين جمع مصدر بضم الميم
من اصدر رده الماء رجع ويقال اصدره غيره اي ارجعه والمراد من البيض السيوف
المصقولة فشبه السيوف المذكورة بابل بيض وردت ينبوعا اسود يجري بماء احمر
ثم اصدره عنه حمرا من تلبسها بالماء الذي وردته تشبيها مضمرا في النفس وطوى

لفظ المشبه به ورمز اليه بشي من لوازمه وهو الاصدار ففيه استعارة بالكناية
وتخييل وقوله حمرا اي من الدما التي خالطتها وهو حال من البيض وقوله وبعد
ما وردت اي بعد ورودها فما مصدرية وقوله من العدا حال من قوله كل مسود
الواقع مفعولا لقوله وردت وقوله من اللمم اي من الشعر المجاوز شحمة الاذن فاللمم
بكسر اللام جمع لمة وهي الشعر المذكور ومن زائدة لان المعنى على الاضافة والتقدير
كل مسود اللمم فحاصل المعنى امدح الصحابة الذين اصدروا اي رجعوا السيوف
البيض حال كونها حمرا من الدما بعد ورودها كل شخص مسود اللمم حال كونه
من العدا وفي ذلك دليل على شجاعة الصحابة رضي الله عنهم حيث لا يرضون
الا بقتل مسود اللمم من العدا وهم الشباب في الغالب **قوله** والكاتبين بسمر الخط
عطف على قوله المصدري البيض واراد من الكاتبين الطاعنين فيكون قد شبه
الطعن بالكتابة بجامع التاثير في كل واستعار الكتابة للطعن
واشتق من الكتابة بمعنى الطعن الكاتبين بمعنى الطاعنين على طريق الاستعارة
التصريحية التبعية والمراد بسمر الخط الرماح الخطية فالسمر جمع اسمر وهو الرمح
والخط شجر تتخذ منه تلك الرماح وقيل موضع باليمامة تجلب اليه تلك الرماح
من الهند وقوله ما تركت اقلامهم حرف جسم غير منعجم اي لم تترك اسنة رماحهم
طرف جسم من اجسام الكفار غير مزال العجمة بل ازالت عجمته اي خفاه بالطعن
بان طعنته ليتميز الكفار من المومنين فانهم مختلطين في الحروب فيتميز الكافر بطعنه
والمومن بسلامته كما يتميز الحرف المعجم بنقطه والمهمل بخلوه عن النقط فالمراد باقلامهم
اسنة رماحهم فيكون قد شبه اسنة رماحهم بالاقلام واستعار اسم المشبه
به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية والحرف بمعنى الطرف ومنه قوله
تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف اي على طرف وجانب من الدين وفي هذا البيت
لطائف منها تشبيه الصحابة بالكتبة واسنة رماحهم بالاقلام وذكر دليل على غاية
احكامهم للطعن بها حتى انها في ايديهم كالاقلام في يد الكتبة وليس عليهم كبير مشقة
في التصرف بها ومنها الاشارة الى انهم لا يطعنون طعنة الا في محلها كما لا تنقط الكتبة
نقطة الا في محلها ومنها الاشارة الى انهم انما جوا حروف اجسام الكفار ليتميز وامن

المسلمين

المسلمين ويوجد في بعض النسخ بيت وهو
ان قام في جامع الهيجا خاطبهم . تصاممت عنه اذنا صمة الصمم
اي ان قام في مجمع الحرب خاطب الصحابة تغافلت عنه اذنا صمة الصمم اي اشدهم
شجاعة قال العلامة ابن مرزوق وهذا البيت لم يثبت في روايتي وانما هو
في بعض النسخ والظاهر انه ليس من كلام الناظم ولذلك وقع الاضطراب في تفسيره
وهذا شان كثير مما ادخل فيه وفي ذلك دلالة على خلوص نيته وصدق
محبته رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته **قوله** شاكي السلاح اي اي حاديه
كما عليه الجوهري وبعضهم فسره بتاميه اي جامعي لانواعه والمناسب لاخذه
من الشكوة التي هي الحدة الاول وتركيب شاكي السلاح كتركيب المصدري البيض
فاصله شاكين السلاح لكن حذفت النون للاضافة او للتخفيف واصل
شاكي شاكو فدخله القلب المكاني فصار شاكو ثم دخله القلب الذي فصار شاكي
وقوله لهم سيما تميزهم اي لهم علامة تميزهم من غيرهم قال تعالى محمد رسول الله
والذين معه اشدا على الكفار رحما بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من
الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود قال بعضهم يكون موضع السجود
من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقوله والورد يمتاز بالسيما عن السلم اي والورد
يتميز من السلم بالعلامة من طيب الرائحة وحسن الخلقة وبها المنظر فان السلم
بضد ذلك فالورد والسلم وان اشتركا في ان كلا شجر مورق ذو شوك الا ان بينهما
فرقا ظاهرا لكل ذي بصر وكذلك الصحابة وغيرهم فانهم وان اشتركا في ان
كلا ذو سلاح الا ان بينهما فرقا ظاهرا لكل ذي بصيرة فالصحابة يمتازون
عن غيرهم بشرف المنزلة وطيب الرائحة وبها المنظر وحسن الخلقة فان
غيرهم بضد ذلك فالمقصود من قوله والورد الخ توضيح الفرق **قوله**
تهدي اليك الخ اي توسل اليك الرياح التي تحصل بها النصر خبرهم السار
على وجه الهدية فتهدي بمعنى ترسل وهو بضم التا من اهدى والمراد برياح
النصر الرياح التي حصلت بها النصر فالاضافة لادنى ملابسة
ويحتمل ان المراد بها بركات النصر وثمراته وقد يصح ان يراد بالرياح الدولة

اي في قول الشاعر

اذا هبت رياحك فاغتنمها ... فعقبى كل عاصفة سكون

والمراد بالنشر الخبر السار وان كان في الاصل الرائحة الطيبة وقوله فتحسبها الزهر
في الاكمام كل كمي كان حق الكلام ان يقول فتحسب كل كمي الزهر في الاكمام لكنه
قد جعله من التشبيه المقلوب على حد قوله

وبهمة مغبرة ارجاؤه ... كان لون ارضه سماؤه

والزهر نور الشجر والاكمام جمع كم وهو غلاف النور والكمي الشجاع في سلاحه من كما
جسده بالسلاح اذا استتر به واصله كمي بتشديد اليا حذفت منه اليا
الساكنة وسكنت المتحركة للوقف وحاصل المعنى انه لما فتحت الازهار في رياض
ملة الاسلام برياح نصرهم كان كلما تهب هذه الرياح من تلك الازهار وتنشر
الى الشام روائح نشرهم فتظن كل بطل في الدروع الفاخرة زهرا في الاكمام الفاخرة
وانما قيد بكونه في الاكمام لانه في اكمامه احسن منظرا واطيب رائحة منه في خارج
الاكمام قوله كانهم في ظهور الخيل اي كان الصحابة حالة كونهم على ظهور الخيل
نبت ربا في الاستقرار والثبوت حتى انهم لو تحركوا عليها لم ينقلعوا من ظهور
الخيل وانما يتحركون للطعن والانتقام ثبوتا منهم كما يتحرك نبت الربا
اذا حركته الرياح فالضمير للصحابة وفي ظهور الخيل حال وفي بمعنى على
كما في قوله تعالى حكاية عن فرعون ولاصلبنكم في جذوع النخل والربا
جمع ربوة بتثليث الرا وهي ما ارتفع من الارض ونباتها يكون اثبت من غيره
لطول عروقه حتى يصل الى الما ويكون احسن من غيره لانه لا يستقر عليه
الما فياخذ حظه من الشمس والرياح فيخضر اخضرا يعجب حسنه الناظرين
واما غيره فقد يستقر عليه الما فيقتله او يضعفه فيصفر لونه وتامل
قوله صلى الله عليه وسلم كالحبة في حميل السيل وانما لم يشبههم بالشجر لان الكفار شبهه
في عدم التحرك فانهم لا يتحركون للطعن والانتقام واما النبت فالرياح تميله
يمينا وشمالا وقوله من شدة الحزم بكسر الشين المعجمة وفتح الحا المهملة وسكون
الزاي اي وذلك اعني استقرارهم وثبوتهم في ظهور الخيل من قوة جودة رايهم

وتدبيرهم

٥١

وتدبيرهم وقوله لا من شدة الحزم بفتح الشين المعجمة وضم الحا والزاي اي لا من ربط
الحزم التي يربط بها السراج او غيره على ظهر الدابة وظاهر ان من في الموضعين بمعنى
لام التعليل قوله طارت قلوب العدا منهم اي اضطربت قلوب العدا فشبه الاضطراب
بالطيران واستعار اسم المشبه به للمشبه واشتق من الطيران بعد استعارته
للاضطراب طارت بمعنى اضطربت على طريق الاستعارة التصريحية التبعية وقوله
من باسهم اي من شدتهم وقوتهم في الحرب ومن في ذلك بمعنى لام التعليل وقوله فرقا
بفتحات اي فزعا وهو مفعول لاجله اي لاجل الفرق والفزع الذي حصل بهم وقوله
فما تفرق بين البهم والبهم اي فبسبب ذلك حصل لهم دهش حتى صارت قلوبهم لا تفرق
بين البهم بفتح البا الموحدة وسكون الها جمع بهمة وهي السخلة فالبهم هي الصغار
وهي اولاد الضان وبين البهم بضم البا الموحدة وفتح الها جمع بهمة بضم البا
وسكون الها وهو الشجاع فالبهم هم الشجعان ولا يخفى ان تفرق في كلام الناظم بتا
وتشديد الرا من فرق بالتشديد لا من فرق بالتخفيف قوله ومن تكن برسول
الله نصرته لما ذكر انه حصل للعدا الفزع الشديد من باس الصحابة اشار الى ان ذلك
انما هو بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيبنا فقال ومن تكن برسول الله اي ومن
تكن نصرته برسول الله كالصحابة ومن حذا حذوهم اي ولا تكن النصرة برسول
الله صلى الله عليه وسلم الا باتباع سنته وترك ما كان على خلاف شريعته
وذلك هو تقوى الله والحاصل عليهما خوف الله ومن خاف الله خاف منه كل
شيء حتى الاسد في اجامها فمن حصلت له هذه المرتبة طارت قلوب العدا من
باسه وسلم من اعدائه وقوله ان تلقه الاسد في اجامها تجم اي ان تلق الاسد
التي هي جمع اسد وهو الحيوان المعروف من تكن نصرته برسول الله صلى الله عليه وسلم
حالة كونها في اجامها التي هي جمع اجمة وهي الغابات اي المحلات التي تستتر فيها
كالاشجار الملتفة تجم بكسر الجيم بمعنى تسكت من هيبته فلا يسمع لها صوت خوفا
من ان يكون صوتها دالا عليها فياتيها المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقبض عليها وانما قيد الاسد بكونها في اجامها لانها فيها اجرا منها في غيرها
فانه لا يقدر احد على ان يدخل عليها فيها ولو انتزعت منه اعز ما يكون عليه

ان لعنيت المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم انعكس الحال هذا ويحتمل ان المراد
بالاسد الشجعان وبالاجم الحصون ويناسب حمل الاسد على حقيقتها قصة سفينة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاسد وهي انه خرج عليه سبع بالصحرا فقال
اقسمت عليك برسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسكن فسكت وهذا البيت
والذي بعده خاصيتهما ان من كان خائفا في جوار وكتبهما بريقه في كفه واراها
للسباع فانها تذهب عنه باذن الله تعالى **قوله** ولن ترى من ولي غير منتصر
على ما يقتضيه كلام بعض الشارحين ويحتمل انها علمية ومن زائدة في المفعول
والمراد بالولي من امن به صلى الله عليه وسلم وكان على هديه وطريقته والعدو ضده
وقوله به اي برسول الله فان قيل ما فائدة قوله ولا من عدو الى بعد قوله ولن
ترى من ولي الخ مع انه اذا اخبر بان الولي منتصر علم منه ان العدو منقصم لان من
المعلوم ان احد المتقابلين اذا انتصر كان مقابله بضد ذلك وبضدها
تتميز الاشيا اجيب بانا لا نسلم انه اذا اخبر بان الولي منتصر علم منه ان العدو
منقصم وانما يعلم منه انه غير منتصر وذلك اعم من كونه منقصما لجواز ان ينهزم
مع سلامته والاعم لا اشعار له بالاخص وعلى تسليم علم ذلك منه فعلمه منه
باللزوم والمناسب لمقام المدح التصريح والمنقصم بالقاف وفي بعض النسخ
بالفاء والاول اولى لان القصم بالفا القطع من غير ابانة والقطع بالقاف القطع
مع الابانة كما تقدم **قوله** احل امته الخ هذا البيت كالتعليل للبيت قبله فكانه
قال لانه احل امته الخ وقوله في حرز ملته اي في ملته الشبيهة بالحرز فالاضافة
في ذلك من اضافة المشبه به للمشبه كما في قول الشاعر

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ۞ ذهب الاصيل على لجين الماء

وانما كانت ملته صلى الله عليه وسلم شبيهة بالحرز لانها تحفظ من اتبعها من نار
الكفر فهي كاعظم الحصون المنيعة التي لا يدخلها الا من هو من اهلها وقوله كالليث
حل مع الاشبال في اجم اي فالنبي صلى الله عليه وسلم حل مع امته في ملته كالليث
حل مع اشباله في الاجم فكما انه لا يستطيع احد الدخول على الليث مع اشباله في الاجم
لا يستطيع احد الدخول على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امته في ملته والليث هو

الاسد

الاسد والاشبال هي اولاده والاجم جمع اجمة وهي الغابة اي الشجر الملتف لا ثمار
تا افادة قوله كالليث اي مثل الليث في هذه الحالة يخاف منه غيره بخلافه
قوله سابقا ان تلقه الاسد في آجامها تجم لانا نقول الاسد انما تجم في آجامها
من المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم كما استفيد مما تقدم وهذا لا ينافي ان
غيره يخاف منها كما استفيد مما هنا **قوله** كم جدلت كلمات الله لما كانت النصرة
تارة تكون بالسيف وتارة تكون بالحجة وقد تقدم الكلام على الحالة الاولى
اخذ يتكلم على الحالة الثانية فقال وكم جدلت كلمات الله وكم خبرية في الموضعين
بمعنى كثيرا والمجرور تمييز لها وجدلت بتشديد الدال ويجوز تخفيفها اي
قطعت وازالت جداله وكلمات الله هي القران والجدل بكسر الدال اسم فاعل
من جدل لجدلا اي احكم الخصومة احكاما وقوله فيه اي في امره صلى الله
عليه وسلم وقوله وكم خصم البرهان من خصم اي وكثيرا خصم البرهان الذي
هو الدليل القاطع من خصم بكسر الصاد وهو شديد الخصومة وفيه الحذف
من الاواخر لدلالة الاوائل والتقدير من خصم فيه اي في امره صلى الله عليه وسلم
وحاصل معنى البيت كثيرا ما ازال القران جدل المجادل في امره صلى الله عليه
وسلم وكثيرا ما ازال الدليل القاطع خصومة شديد الخصومة في امره صلى
الله عليه وسلم والاول اشارة الى ما وقع في القران من جواب المعاندين
السائلين له صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما نقل من ان اليهود قالوا لقريش
سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فان اجاب عن الكل او سكت
عن الكل فليس بنبي وان اجاب عن البعض وسكت عن البعض فهو نبي
فنزلت قصة اصحاب الكهف وقصة ذي القرنين ونزل قل الروح من امر ربي فاحال
علمها الى ربه والثاني اشارة الى ما وقع منه صلى الله عليه وسلم من الايات حين سالوه
ايتاء رسالته كانشقاق القمر وغيره ولا يخفى انه عطف الثاني على الاول
من عطف العام على الخاص وهذا البيت والذي بعده خاصيتهما ان من كتبه
في ورقة بيضا الصغير وجعلها في قصبة وربطها في خيط حرير وعلقها عليه
فانه لا يصيبه شيطان ولا مرض ولا غير ذلك **قوله** كفاك بالعلم الخ لما ذكر انه

كثيرا ما خصم البرهان من خصم عقب ذلك بذكر برهانه حيث قال كفاك
بالعلم الخ اي كفاك العلم فالباء زائدة في الفاعل لان زيادتها في فاعل كفى كثيرة وقوله
في الامي اي في النبي الامي وهو الذي لا يقرا ولا يكتب نسبة للامي كانه على الهيئة
التي نزل عليها من امه وهذا وصف مدح بالنسبة له صلى الله عليه وسلم
لانه دليل على ان القران من عند الله واما بالنسبة لغيره صلى الله عليه وسلم فهو
وصف ذم والجار والمجرور حال من العلم او صفة له وقوله معجزة اي من جهة المعجزة
فهو تمييز للنسبة في كفى وقوله في الجاهلية اي الزمن الذي لا علم فيه والجار
والمجرور مثل الجار والمجرور قبله وانما قيد بقوله في الامي وقوله في الجاهلية
لان كلا من كونه اميا وكونه في الجاهلية مظنة لعدم العلم لانه لا يكون الا
بمطالعة الكتب العلمية وهو لا يقرا ولا يكتب او بملاقات العلما وهو منتف
في الجاهلية فتعين ان علمه صلى الله عليه وسلم ليس الا بتعليم من الله تعالى وقوله
والتاديب في اليتم اي وكفاك بالتاديب في اليتم معجزة فهو معطوف على قوله
بالعلم لكن المراد بالمعجزة مطلق الامر الخارق للعادة وان لم يكن مقرونا بالتحدي
الذي هو دعوى الرسالة فاندفع ما يقال ان كونه صلى الله عليه وسلم مؤدبا
في حال يتمه لم يتحد لان التحدي لا يكون الا بعد الاربعين والمراد من التاديب
التادب او انه مصدر المبني للمفعول فهو بمعنى كونه مؤدبا فيكون وصفا
للنبي صلى الله عليه وسلم وانما قيد بقوله في اليتم بضمتين كما هو لغة في اليتم
بضم فسكون لان شان اليتيم وهو الصغير الذي لا اب له ان لا يكون فيه
من الادب ما يكون في غيره فان الاب غالبا يهتم بتاديب ابنه ويسعى
في تكميله باكتساب الصفات الحميدة بخلاف غير الاب وهو صلى الله عليه
وسلم قد مات ابوه قبل ولادته وقيل بعدها وتربى عليه الصلاة والسلام
في كفالة عمه ابي طالب وكان صلى الله عليه وسلم مؤدبا باحسن الاخلاق على
خلاف العادة في اليتيم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله ادبني فاحسن
تاديبي وبالجملة فقد بلغ صلى الله عليه وسلم من العلوم ما لا يبلغه من تصدى
لها ومن الاداب ما لا يناله من له مؤدب فدل ذلك على انه رسول الله حقا قوله

وهو طلب المعارضة ... الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي

خدمته بمدح الخ اي خدمته صلى الله عليه وسلم بما تقدم من المدح اطلب من الله ان
يقيلني بسبب هذا المدح ذنوب عمر مضى في الشعر مدحا لابنا الدنيا والخدم
بكسر الخا المعجمة وفتح الدال المهملة جمع خدمة فالمراد بالمدح ما تقدم من المدح
والسين والتا للطلب كما تقدمت الاشارة اليه وجملة قوله مضى صفة لعمر
وقد ذكر بعضهم ان الناظم كان في مبدا امره كاتب الانشا عند بعض السلاطين وقيل
انه كان وزيرا وهذا وان كان مباحا الا انه قد يجر الى المحرم كما يوخذ من البيت
نعم ومن هنا الى اخر قوله ولم ارد زهرة الدنيا خاصيتها للملسوع تكتب
بما المطر والورد ويمحى ويشربها فانها تزول سريعا باذن الله تعالى قوله
اذ قلداني اي لانهما قلداني فهذا البيت تعليل للبيت قبله والضمير العائد
في قلداني للشعر والخدم وقوله ما تخشى عواقبه اي اثاما تخشى عواقبها من
انواع العذاب ان لم يغفرها الله تعالى فما واقعة على الاثام والمراد
بعواقبها انواع العذاب وقوله كانني بهما هدي من النعم اي كانني بسبب
الشعر والخدم هدي من النعم التي هي الابل والبقر والغنم ومن شان الهدي
ان يقلد بجعل شيء في عنقه من نعل ونحوه ليعلم انه هدي وحاصل المعنى
ان الشعر والخدم هدي من النعم التي هي الابل جعلا الاثام التي تخشى عواقبها من انواع
العذاب قلادة في عنقي فصرت بسببها اشبه بهدي من النعم كما لا يخفى حال الهدي
على من راه بما جعل في عنقه من نعل ونحوه كذلك لا يخفى حالي على من راني وعرف
حالي بما اكتسبته من الاثام التي تخشى عواقبها بسبب الشعر والخدم قوله
اطعت غي الصبا اي بين بهذا البيت سبب كون الشعر والخدم قلداه الاثام
التي تخشى عواقبها وذلك السبب هو اطاعة غي الصبا والغي ضد الهدى واضيف
للصبا لانه يدعو اليه فانه زمن الجهل والبطالة وقوله في الحالتين اي حالتي
الشعر والخدم وقوله وما حصلت الا على الاثام والندم اي وما حصلت
منهما الا على الاثام التي صدرت مني وعلى الندم على تلك الاثام قوله
فيا خسارة نفسي هذا البيت تحقيق للندم وتبكيت للنفس لان فيه ندا
عليها بالخسارة في تجارتها فكانه قال يا خاسرة نفس موصوفة بما ذكر

احمر ي فهذا اوانك وهذا كناية عن استعظام خسارة هذه النفس
والتعجب منها فان عادة العرب اذا استعظموا شيئا وتعجبوا منه نادوه ليحضر
وقوله في تجارتها متعلق بخسارتها وقوله لم تشتر الدين بالدنيا اي لم تاخذ
الدين بدل الدنيا بل عدلت عن العظيم الباقي الى الخسيس الفاني وقوله ولم تسم
بفتح المثناة الفوقية وضم السين المهملة اي ولم تتعرض لاخذ الدين بدل
الدنيا بل اخذت الدنيا وتركت الدين الذي تنجو به في الاخرة وكان الناظم
عنى نفسه فنادى عليها بالخسارة حتى اتبعت الشعر والخدم لابنا الدنيا
ولو صحبها التوفيق لتركت ذلك واشتغلت بالدين لكن التوفيق بيد الله
يعطيه من يشا **قوله** ومن يبع اجلا منه الخ هذا البيت تتميم لتحقيق الندم
وتبكيت النفس لان فيه لو عدا بالغبن حيث بين فيه ان من يبع الاجل منه
بالعاجل يظهر له الغبن والمراد بالاجل الثواب الذي يكون في الاخرة المحققة
الباقية وبالعاجل ما الذي ياخذه من الدنيا الذاهبة الفانية وهذا
على ما في كثير من النسخ مما نصته ومن يبع اجلا منه بعاجله وفي بعضها ومن
يبع عاجلا منه باجله وعليه فالمراد بالعاجل الثواب الذي يكون في الاخرة
المحققة الباقية وبالاجل الشي الذي ياخذه من الدنيا الفانية الذاهبة
وعلى هذا المثل المشهور برة عاجلة خير من درة اجلة ولما كان الثواب المذكور
محققا ولا بد اطلق عليه عاجل لانه كانه حاصل بالفعل ولما كان الشي
الذي ياخذه من الدنيا غير محقق اطلق عليه اجل والظاهر ان الضمير في منه راجع
للدين في البيت قبله كذا قال بعض الشارحين والظاهر انه راجع لمن يبع كالضمير
في عاجله وقوله يبن له الغبن اي يظهر الخداع وقوله في بيع وفي سلم كل منهما متعلق
بالغبن والعطف في ذلك من قبيل عطف التفسير لان البيع المذكور في كلام
المص يسمى سلما فاندفع ما يقال الذي تقدم في كلام الناظم هو صورة
السلم وان صورة البيع غير بيع السلم وتقفى لمشارحيه طرق احتمالات تكون
في كلام الناظم حذفا والتقدير ومن يبع اجلا من متاع الاخرة بعاجله
من متاع الدنيا او يشتري عاجلا من متاع الدنيا باجله من متاع

الاخرة

الاخرة فقوله في بيع راجع للصورة الاولى وقوله وفي سلم راجع للصورة
الثانية وفيه تكلف **قوله** ان آت ذنبا اي هذا البيت تانيس للنفس
وترج لها في رحمة الله تعالى وان اصله ان آت بهمزتين قلبت الثانية الفا
فصارات بالمد وهو مجزوم بان الشرطية وعلامة جزمه حذف اليا
وقوله فما عهدي بمنتقض من النبي اي فما ايماني بمنقطع عن النبي لان الذنب لا ينقض
الايمان فالمراد بالعهد الايمان فتكون الاضافة في قوله عهدي للعهد
والمعهود هو الايمان وقوله ولا حبلي بمنصرم اي ولا وصلي بمنقطع من النبي صلى
الله عليه وسلم فالحبل مستعار للوصل وفي البيت الحذف من الثاني لدلالة
الاول كما في نظائره والتقدير ولا حبلي بمنصرم من النبي **قوله** فان لي ذمة الخ هذا
البيت تعليل للبيت قبله ووجه ذلك ان اختياره التسمية باسمه صلى الله
عليه وسلم دليل على محبته فيه فانه لا يسمي بالاسم الا من احب مسماه واما
من يكرهه فلا يتسمى به وقوله وهو اوفى الخلق بالذمم اي وهو صلى الله
عليه وسلم اشدهم وفا بها فيقوم بحقها بان يشفع لاهلها لعظم جاهه
وعلو مكانته عند ربه وفي كلام المص ترغيب في التسمية باسمه صلى الله
عليه وسلم وقد جا في ذلك احاديث فعن انس بن مالك رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوقف عبدان بين يدي الله تعالى
فيامر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استاهلنا الجنة ولم نعمل عملا يجازينا
الجنة فيقول الله عز وجل عبدي ادخلا الجنة فاني اليت على نفسي ان لا يدخل
النار من اسمه احمد او محمد وعن جعفر بن محمد اذا كان يوم القيامة نادى مناد
الا ليقم من اسمه محمد فيدخل الجنة كرامة لاسمه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ اخر
ينادي يوم القيامة يا محمد فيرفع راسه في الموقف فيقول الله عز وجل اشهدكم
اني غفرت لكل من سمي على اسمه محمد وعن ابي امامة من ولد له مولود فسماه محمدا تبركا
كان هو ومولوده في الجنة رواه صاحب الفردوس وعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
قال ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه احمد او محمد الا قدس الله ذلك المنزل
مرتين وبالجملة فالتسمية باسمه صلى الله عليه وسلم امر مندوب اليه نسال الله

تعالى ان ينظمنا في سلك محبته بمنه وفضله ورحمته قوله ان لم يكن في معادي
اخذا بيدي اي ان لم يكن صلى الله عليه وسلم في يوم عودي الى الله تعالى اخذا بان يشفع
لي حال كون ذلك فضلا منه لا لسابقة مني تقتضي ذلك فقل يا زلة القدم
وهو كناية عن سوء الحال والوقوع في الشدة والاذى وان لا يكن في ذلك اليوم
اخذا بيدي بان كان اخذا بيدي فقل باثبات القدم وهو كناية عن حسن
الحال وحصول النعمة فقوله خطاب المتجرد من نفسه فقل يا زلة القدم
جواب الشرط الاول وهو قوله ان لم يكن في معادي اخذا بيدي وجواب الشرط
الثاني وهو قوله والا فان اصله ان الشرطية المدغمة في لا النافية محذوف لدلالة
المقام والسياق عليه والتقدير والا فقل باثبات القدم اي وان انتفى لم يكن
اخذا بيدي بان كان اخذا بيدي فقل باثبات قدمي وبهذا يندفع استشكال
هذا البيت بان الظاهر منه ان قوله فقل يا زلة القدم جواب الشرط الثاني
فيصير المعنى وان انتفى لم يكن اخذا بيدي بان كان اخذا بيدي فقل يا زلة
القدم وهذا فاسد لا شك في بطلانه وهذا كله على ما في النسخ من قوله
ان لم يكن في معادي الخ وفي الرواية فان تكن في معادي الخ وعليه فلا اشكال
لان جواب الشرط الاول محذوف للعلم به من المقام والسياق وجواب الشرط
الثاني مذكور بقوله فقل يا زلة القدم وتقدير البيت على هذا فان تكن صلى
الله عليه وسلم في يوم عودي الى الله تعالى اخذا بيدي بان يشفع لي حال كون
ذلك فضلا منه لا لسابقة مني تقتضي ذلك فقل باثبات القدم والا اي
وان لم تكن كذلك فقل يا زلة القدم وهذا ظاهر لا اشكال فيه قوله
حاشاه ان يحرم الخ هذا البيت لزيادة تسكين النفس من خوفها وتقويه
تطمينها من قلقها وحاشا هنا اسم بمعنى المحاشاة وهي التنزيه فهو واقع
موقع المصدر فيكون منصوبا بفعل مضمر والتقدير احاشيه حاشاه
اي انزهه تنزيهه والضمير المتصل به في محل جر باضافته اليه واما حاشا
المستعمل في الاستثنا فتارة يستعمل فعلا وتارة يستعمل حرفا كما هو مشهور
وقوله ان يحرم الراجي مكارمه اي من ان يحرم النبي صلى الله عليه وسلم الراجي منه

مكارمه

مكارمه فهو على تقدير من والفاعل ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم والراجي
مفعول وسكنت ياؤه على لغة والمكارم جمع مكرمة والمراد منها الشفاعة ويجوز
ضم ياء يحرم على انه مضارع احرم وفتحها على انه مضارع حرم فانه يقال احرمه
يحرمه بضم اليا وحرمه يحرمه بفتحها ويصح بنا الفعل للفاعل وقدمنا الحل
عليه ويصح ايضا بناؤه للمفعول وعليه فالراجي نايب فاعل وسكنت ياؤه
ح ظاهر وقوله او يرجع الجار منه غير محترم الظاهر ان او بمعنى الواو فالمعنى
وحاشاه من ان يرجع الجار منه اي المستجير به الداخل في جواره حال كونه
غير محترم بل يرجع محترما بشفاعته صلى الله عليه وسلم فالجار بمعنى المستجير
ومنه بمعنى به وغير محترم حال من الجار جعلنا الله من اهل شفاعته اجمعين
قوله ومنذ الزمت افكاري ذا هذا البيت استدلال على قوة رجائه وانه
لا يخيب في ظنه فكانه قال انما قوي رجائي واني لا اخيب في ظني لاني منذ الزمت
افكاري الخ ومنذ ظرف زمان وهو ظرف لوجدته وافكاري مفعول اول لالزمت
ومدائحه مفعول ثاني والضمير العائد على النبي صلى الله عليه وسلم مفعول
اول لوجدت وخير ملتزم بكسر الزاي مفعوله الثاني وبه يتعلق الجار والمجرور
قبله وتقدير البيت وجدت النبي صلى الله عليه وسلم في الزمن الذي الزمت فيه
افكاري مدائحه خير ملتزم لخلاصي من جميع الشدائد التي تصيبني والافكار
جمع فكر وهو حركة النفس في المعقولات والمدائح جمع مدح وهو الثنا الحسن
وانما كان صلى الله عليه وسلم خير ملتزم لخلاصه من الشدائد لانه وفى بخلاصه منها
على احسن الوجوه واتمها واشار المص بذلك الى الدا الذي كان اصابه وهو دا
الفالج والعياذ بالله تعالى منه وكان هو السبب في انشا هذه القصيدة
فانه لما اصيب به عملها فراى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومسح بيده الكريمة
عليه فعوفي فلما استيقظ قال له بعض اصحابه الصالحين سمعت القصيدة
التي مدحت بها النبي صلى الله عليه وسلم فلقد سمعتها بين يديه صلى
الله عليه وسلم وهو يتمايل ميل القضيب قوله ولن يفوت الغنى الخ هذه
الجملة مستانفة والغنى بالكسر مع القصر اليسار ومع المد تطريب الصوت

مع سرورٍ وبالفتح مع القصر الاقامة ومع المد الكفاية والضمير في منه عائد
على النبي صلى الله عليه وسلم والجار والمجرور متعلق بمحذوف اما صفة للغنى او حال
فالاول ان قدر معرفة والثاني ان قدر نكرة ومن للابتدا وقوله يدًا مفعول
وجملة قوله تربت صفة ليدًا وتربت بكسر الراء لتصقت بالتراب لكونها
معكرة منعفرة افتقارًا احساسا بان ضيعت ما كان فيها من الاموال او معنوي
بان ضيعت ما كان لها من الثواب لاقترافها المعاصي وانما لم يبغ الغنى منه
صلى الله عليه وسلم اليد المذكورة لعموم الغنى منه صلى الله عليه وسلم
لجميع الايدي التي تكون كذلك ومنها يد الناظم وقد استدل على ذلك بقوله
ان الحيا ينبت الازهار في الاكم ووجه الاستدلال بذلك انه كما يشاهد
محسوسًا ان الحيا بالقصر الذي هو المطر ينبت الازهار جمع زهر في الاكم
بضمتين جمع اكمة كقصب جمع قصبة والاكمة هي الربوة اي المحل المرتفع
من الارض مع كونها ليست مظنة النبات لعدم استقرار الما عليها لعلوها
كذلك صلى الله عليه وسلم ينيل الغنى من ليس مظنة الغنى وهي اليد الذي
تربت وانما انبت الحيا الازهار في الاكم مع انها مظنة عدم النبات
بسبب عدم استقرار الما عليها وسرعة انحداره عنها لعمومه حتى للاكم
والتشبيه المذكور انما هو على سبيل التقريب والا فهو عليه الصلاة
والسلام لا يحيط بحقيقته كما له الا الله تعالى **قوله** ولم ارد زهرة الدنيا اي لما كان
قوله ولن يفوت الغنى الخ يوهم انه يرضى بطلب شي من حطام الدنيا دفع
هذا التوهم بقوله ولم ارد زهرة الدنيا الخ اي وانما اردت الغنى منه في الاخرة
بالشفاعة في المذنبين والمراد بزهرة الدنيا مستلذاتها من المال وغيره
وانما عبر عنها بالزهرة تشبيها لها بالزهر الذي لا يدوم التمتع به بل يتغير سريعا
فتكون في ذلك استعارة تصريحية والتعبير بالاقتطاف ترشيح لها وهو اما
باق على حقيقته او مستعار للاخذ وقوله يدا زهير فاعل باقتطفت
والمراد بزهير الشاعر المشهور وهو ابن ابي سلمى بضم السين ابو كعب صاحب
بانت سعاد القصيدة المشهورة وله اخت تسمى الخنسا كانت شاعرة

مشهورة

مشهورة وكان الشعر فيهم وراثة ولذلك كان زهير من الشعرا المقدمين على
سائر الشعرا الجاهلية كامرئ القيس والنابغة الذبياني وعنترة وطرفة
ابن العبد وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى زهير وعمره مائة سنة
فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعذني من شيطانه فما لاك بعدها بيتًا حتى مات
وقوله بما اثنى على هرم اي بالمدح الذي اثنى به على هرم بكسر الرا وهو احد اجواد
العرب وكان احد ملوكهم وهو ابن سنان بن حيان بالحا المهملة وبعدها مثناة
تحتية وكان يصل زهيرًا بالصلات الجزيلة الخارجة عن العادة ومن جملة ما اتفق
له معه انه حلف انه كلما مدحه اعطاه غرة عبدًا او امة او قيمتها وانه
كلما سلم عليه يعطيه كذلك حتى انه من كثرة اعطائه له استحى منه فكان اذا راه
في قوم قال انعموا صباحا غير هرم فكل هذا لم يرد الناظم اخلا المدحه صلى
الله عليه وسلم عن ذلك اذ لا يتوسل بالعظيم الا لنيل عظيم **قوله** يا اكرم الرسل الخ
لما مدح النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الاخبار عن الغائب قفى بالخطاب
عليه صلى الله عليه وسلم فقال يا اكرم الرسل وفي بعض النسخ يا اكرم الخلق
ولكونه صلى الله عليه وسلم اكرم الرسل واكرم الخلق اختص بالشفاعة العظمى
وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم في فصل القضا كما تقدم وقوله ما لي من
الوذ به سواك اي ليس لي احد التجئ اليه غيرك وقوله عند حلول الحادث
العمم اي عند نزول الحادث العام اي الشامل لجميع الخلق والمراد بذلك
الحادث هول يوم القيامة فان كلا من الرسل يقول نفسي نفسي ويخبر
بان الله غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولا يغضب مثله بعده
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول امتي امتي وقيل المراد بذلك الحادث الموت
قوله ولن يضيق رسول الله جاهك بي اي بل هو رحب واسع
يسعني ويسع كل عاص مثلي فجد علي بالشفاعة لتنقذني مما استحقه
من العقاب والمراد من الجاه القدر والمنزلة وهو ماخوذ من الوجاهة
وهي رفعة القدر وسعة المرتبة ويقال رجل وجيه اي معروف
مشهور بحسن الذكر وجودة الراي وقوله بي اي عني وقوله اذا الكريم

تحلى باسم منتقم اي وذلك اعني عدم ضيق جاهه صلى الله عليه وسلم وقت
كون المولى اتصف باسم هو منتقم واتصافه بذلك عند انتقامه بالفعل
من العصاة وذلك الوقت هو يوم القيامة ثم تحلى بالحا المهملة بمعنى اتصف
وبالجيم بمعنى انكشف والاول اصح رواية والثاني اصح دراية وهذا الشرط
لا مفهوم له فهو مفهوم موافقة لان جاهه صلى الله عليه وسلم لا يضيق
في كل وقت وقد قيل في كلام الناظم اشكال كبير وقلق عسير اما الاشكال
فلانه يقتضي ان الكريم يتصف في المستقبل بالانتقام لان اذا للاستقبال
مع ان صفاته تعالى قديمة لم تزل ولا تزال واما القلق فلان الاسم عند
اهل السنة هو المسمى وح فيكون التقدير اذا اتصف المسمى الذي هو
الكريم بالمسمى الذي هو الاسم وهو المسمى الذي هو المنتقم وهو في غاية
القلق ورد ذلك بان كلام الناظم مبني على طريقة ابي الحسن الاشعري وهو
المرضي من مذهب اهل السنة وحاصله في ذلك ان الكريم والمنتقم صفتان
فعليتان فالكريم من له الكرم والمنتقم من له الانتقام والصفة الفعلية
عند الاشاعرة حادثة لانه لا يرجع منها الى الفاعل معنى قائم به ولذا قال
ائمتنا لا يتصف الباري بكونه خالقا في الازل الا مجازا ولا نسلم ان كل
اسم عين المسمى بل من اسمائه تعالى ما هو غيره وهو كل ما دلت التسمية
به على فعل كالخالق وبذلك اندفع الاشكال والقلق في كلام الناظم ثم يرد
عليه انه يؤذن كلامه باجتماع صفتين متضادتين في وقت واحد
في محل واحد فان المراد بالكرم التجاوز عن الذنب او ما يتضمن ذلك والمراد بالانتقام
المؤاخذة بالذنب ولا يتأتى اجتماعهما في الوقت الواحد في المحل الواحد
ويجاب بان المراد بالكريم من شأنه الكرم والتجاوز عن الهفوات والمراد
بالمنتقم من اتصف بالانتقام بالفعل فصفته تعالى ح الانتقام والاخذ
بالجرائم وهذا لا ينافي ان شأنه تعالى الكرم والتجاوز عن الهفوات
قوله فان من جودك الدنيا اي هذا البيت تعليل للبيت قبله فكانه
قال وانما كان جاهك يا رسول الله لا يضيق بي بل يسعني وغيري

من

من العصاة لان من جودك اي ومن للتبعيض والمراد من الدنيا ما قابل الاخرى
ولذلك جعلها الناظم ضرتها وفي كلامه تقدير مضاف اي خيري الدنيا
وضرتها التي هي الاخرة فمن خير الدنيا هدايته صلى الله عليه وسلم
للناس ومن خير الاخرة شفاعته صلى الله عليه وسلم فيهم وقوله ومن
علومك علم اللوح والقلم من جملة التعليل لكون جاهه صلى الله عليه
وسلم لا يضيق عنه لانه لا شك ان العلم من اكبر اسباب عظم الجاه وعلو
ويجوز ان يكون مستأنفا ومن في قوله ومن علومك للتبعيض ايضا
فهي للتبعيض في الموضعين والمراد بعلومه صلى الله عليه وسلم المعلومات
التي اطلعه الله عليها فانه تعالى اطلعه على علوم الاولين والاخرين
والمراد بعلم اللوح والقلم المعلومات التي كتبها القلم في اللوح بامر الله تعالى
فانه ورد انه لما خلق الله القلم فقال اكتب قال وما اكتب قال اكتب
مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة واستشكل جعل علم اللوح والقلم بعض
علومه صلى الله عليه وسلم بان من جملة علم اللوح والقلم الامور الخمسة المذكورة
في اخر سورة لقمان مع ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلمها لان الله قد استأثر
بعلمها فلا يتم التبعيض المذكور واجيب بعدم تسليم ان هذه الامور الخمسة
مما كتبه القلم في اللوح والا لاطلع عليها من شأنه ان يطلع على اللوح كبعض
الملائكة المقربين وعلى تسليم انها مما كتبه القلم في اللوح فالمراد ان بعض علومه
صلى الله عليه وسلم علم اللوح والقلم الذي يطلع عليه المخلوق فتخرج هذه
الامور الخمسة على انه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا الا بعد ان اعلمه
الله تعالى بهذه الامور فان قيل اذا كان علم اللوح والقلم بعض علومه صلى
الله عليه وسلم فما البعض الاخر اجيب بان البعض الاخر هو ما اخبره الله
عنه من احوال الاخرة فان القلم انما كتب في اللوح ما هو كائن الى يوم القيامة
فقط كما تقدم في الحديث قوله يا نفس لا تقنطي الخ لما خاف الناظم على
نفسه القنوط من رحمة الله تعالى بسبب شدة الخوف اقبل عليها
يخاطبها بتحقيق رجائه ويؤنسها بعظم فضل ربه واصل قوله يا نفس يا نفسي

بالاضافة ليا المتكلم فحذفت يا المتكلم ويجوز ضم السين وكسرها كما في قولك يا عبد وقوله لا تقنطي اي لا تياسي وهو بفتح النون على لغة كسرها في ماضيه وبكسرها وضمها على لغة فتحها فيه وقوله من زلة عظمت اي من اجل زلة كبرت فمن للتعليل ويحتمل انها للتعدية لكن على تقدير مضاف والاصل من غفران زلة عظمت والزلة بفتح الزاي وتشديد اللام الذنب وقوله ان الكبائر في الغفران كاللمم اي ان الذنوب العظام التي ارتكبتها ايها النفس في جانب الغفران اي بالنسبة له كصغاير الذنوب فالكبائر هي الذنوب العظام واللمم بفتح اللام المشددة وفتح الميم ايضا صغار الذنوب ومعلوم انه تعالى يغفر الذنوب الصغائر فكذا الكبائر قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وفي قول الناظم ان الكبائر في الغفران كاللمم رد على من زعم ان الكبائر ليست كالصغاير كالمعتزلة فانهم يقولون بان الكبائر لا تغفر بل مرتكبها يخلد في النار لانه ليس مومنا ولا كافرا فيقولون انه منزلة بين المنزلتين ويعذب بعذاب اخف من عذاب الكافر والحق مذهب اهل السنة ان الكبائر كالصغاير في الغفران وهو الموافق للقران وللسنة وللدليل العقلي لانه تعالى لا يجب عليه ثواب ولا يتحتم عليه عقاب بل الثواب من فضله والعقاب من عدله لا يسال عما يفعل وهم يسالون **قوله** لعل رحمة ربي الخ لما نهى الناظم نفسه عن القنوط كانها قالت له انا لا اقنط لكني اخشى ان لا يكون حظي من الرحمة قدر ذنوبي التي ارتكبتها فاجابها بقوله لعل رحمة ربي الخ اي ارجو ان تكون رحمة ربي تاتي في القسم حين يقسمها بين العصاة على قدر عصيانهم فمن حمل من العصيان حملا كبيرا كان ما يناله من الرحمة شيا كبيرا ومن حمل من العصيان حملا صغيرا كان ما يناله من الرحمة شيا صغيرا والمراد الرحمة التي تنال العصاة لا الرحمة العامة التي تنال المطيع ايضا فلا يقال اذا قسمت الرحمة بحسب العصيان لم يبق للمطيع منها حظ فان قيل كلام الناظم يقتضي ان من كانت ذنوبه اكثر كان ما يناله من الرحمة اعظم وكيف يصح ذلك مع ان من كانت ذنوبه اقل كان اقرب للرحمة واقرب منه من

كان

كان طائفا اجيب بان الكلام في الرحمة التي تنال العاصين وقسمها على هذا الوجه امر ممكن لجواز العفو عما عدا الشرك واورد عليه ان مقتضى كلامه عدم دخول بعض عصاة المؤمنين النار مع ان المقرر في علم الكلام انه لا بد من دخول طائفة منهم النار ثم يخرجون بشفاعته صلى الله عليه وسلم واجيب بان الرحمة بالنسبة لهولا هي الشفاعة العامة للاراحة من هول الموقف **قوله** يا رب واجعل رجائي اي لما اشتملت هذه القصيدة على انواع التغزل وتوبيخ النفس والوعظ ومدحه صلى الله عليه وسلم وذكر بعض معجزاته ومدح القران ومدح الصحابة وذم الكفار والاقرار بالذنب ختمها بالدعا ثم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقوله يا رب اصله يا ربي بالاضافة ليا المتكلم ثم حذفت يا المتكلم للتخفيف وقوله واجعل رجائي اي معطوف على محذوف والتقدير يا رب ارحمني واجعل رجائي لرحمة غير منعكس اي غير خائب بان يحصل المرجو من عفوك عن ذنوبي كبائرها وصغايرها وقوله لديك اي عندك وهو ظرف لقوله اجعل او المنعكس وقوله واجعل حسابي غير منخرم اي اجعل ما حسبته اي ظننته من الجميل فيك وهو ان تنيلني من فضلك وكرامتك ما يليق بي غير ناقص بان يحصل المحسوب اي المظنون تاما كاملا وفي كلامه حذف من الثاني لدلالة الاول اي غير منخرم لديك وفي الحديث حكاية عن الله تعالى انا عند ظن عبدي بي ان خيرا فخير وان شرا فشر وقد قال من غلب عليه الرجا

واني لارجو الله حتى كانني ۞ ارى بجميل اللطف ما الله صانع

وفسر بعضهم قوله واجعل حسابي غير منخرم بان المعنى واجعل تعداد الامور الصادرة منك يا الله لي غير منقطع ونوقش بانه يلزم عليه ان الناظم طلب ان لا ينقطع عذابه لان من نوقش الحساب عذب فكيف لمن طال حسابه فكيف لمن دام حسابه ولو قال واجعل تعداد الامور الصادرة منك يا الله لي غير مموج بان يكون مقتضيها الخلص من هذه المناقشة **قوله** والطف بعبدك في هذا البيت من تمام الدعا ومعنى الطف ارفق اذ اللطف معناه الرفق وعنى بالعبد نفسه واختار الوصف بالعبودية لما فيها من غاية الذلة

والخضوع وذلك مناسب لمقام الدعا وقوله في الدارين اي داري الدنيا
والآخرة اي فيما قدرت عليه فيهما لم يعلل ذلك بقوله ان له صبرا اي ان
لعبدك صبرا لا يثبت بل متى دهمه الاهوال ينهزم امامها فيصير العبد
بلا صبر فيهلك وباللطف يندفع الهلاك وقد امتثل الناظم في هذا الدعا
لامره صلى الله عليه وسلم حين سمع رجلا يقول اللهم هب لي الصبر فقال له
طلبت من الله البلا فاطلب منه العافية **قوله** واذن لسحب صلاة اي لا يخفى
ان قوله اذن فعل دعا والاذن في حقه تعالى بمعنى الاباحة واللام للتعدية
والسحب بسكون الحا كما هو لغة في السحب بضمها وان جعله بعض الشارحين
للتخفيف وهو جمع سحاب الذي هو الغيم واضافة سحب للصلاة من اضافة
المشبه به للمشبه اي للصلاة الشبيهة بالسحب في ان كلا رحمة وقوله
منك صفة لصلاة وقوله دائمة صفة ايضا لصلاة انه صفة صلاة
وقوله على النبي اي صادرة على النبي المعهود وهو سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم والباء في قوله بمنهل ومنسجم متعلقة باذن فهي للتعدية وفي الكلام موصوف
محذوف والتقدير بمطر منهل ومطر منسجم والمنهل المنصب لشدته والمنسجم السائل
لعدم شدته **قوله** ما رنحت عذبات البان الخ اي مدة ترنح عذبات البان فما
مصدرية ظرفية والترنح التميل وعذبات البان اغصانه والبان
شجر معروف طيب الرائحة وقوله ريح صبا بفتح الصاد فاعل برنحت والمراد
بريح الصبا الريح الشرقية التي تهب صوب باب الكعبة وانما سميت بذلك لانها
تصبو اي تميل اليها وتسمى قبولا بفتح القاف لانها تقابل بهبوبها المشرق
واصول الرياح اربعة الاولى الصبا وقد علمتها والثانية الدبور وهي الريح
الغربية التي تاتي من مغرب الشمس وانما سميت بذلك لان من استقبل المشرق
استدبرها والثالثة الشمال بفتح الشين وهي الريح البحرية التي يسار بها
في البحر على كل حال وانما سميت بذلك لانها عن شمال من استقبل المشرق
والرابعة الجنوب بفتح الجيم وهي الريح القبلية وعامة المصريين يعبرون
عنها بالمريسي لانها تهب من بلاد المريس وهم طائفة من السودان حسان

الوجوه

الوجوه وكل ريح جاءت بين مهب ريحين يقال لها النكبا سميت بذلك لانها
نكبت اي عدلت عن مهب تلك الرياح الاربعة وقد نظم الشيخ السجاعي
حاصل ما تقدم بقوله

اصول رياح اربع سم بالصبا ، قبولا اتت من مطلع الشمس شرقيه
دبورا اتت من مغرب الشمس فاعلمن ، لذا عند مصر سم يا صاح غربيه
شمال تجي من عن شمال مشرق ، يسار بها في البحر تدعى ببحريه
جنوب تسمى بالمريسي نسبة ، لبلدان سودان وتسمى بقبليه
وما بين ريحين تهب فسمها ، بنكبا تجري كالاصول بلا مريه

وقوله واطرب العيس الخ اي ومدة اطراب العيس الخ فهو معطوف على قوله رنحت
والاطراب احداث الطرب وهو خفة تنشا عن سرور مقتضية للحركة
والنشاط والعيس بكسر العين مناسبة لسكون اليا بعدها وان كان اصلها
الضم وهي ابل بيض يخالطها شقرة اي حمرة شديدة وهي من كرام الابل ويقال
للذكر اعيس وللانثى عيسا والمراد بحادي العيس سايقها فهو من حدا الحدو
اذا ساق الابل وقوله بالنغم متعلق باطرب والنغم بفتح النون الصوت الحسن
وللابل خاصية عظيمة في حصول الطرب لها عند سماع صوت الحادي وكلما
كان الصوت احسن كان طربها اكثر حتى انها تقطع المسافة الكثيرة في الزمن
القليل بسبب ما يحصل لها من النشاط عند سماع الصوت الحسن ولا يخفى
ان الترنح والاطراب المذكورين لا ينقطعان ما بقيت الدنيا فلذلك اقت
الصلاة بهما ويحتمل انه اراد بذلك التابيد فكانه قال دائما وابدا وانما خص
البان والعيس لانهما من مالوفات الاحبة وتخصيص ريح الصبا ظاهر من ذلك
لانها تهب الى باب الكعبة التي هي اعظم مكان في البلد الذي هو مسقط راس حبيبه
صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم يحتمل انه اشار بالعذبات الى عذبة النبي
صلى الله عليه وسلم لتمايلها بتمايله صلى الله عليه وسلم عند سماعه المدح
واشار بالبان الى ذاته الشريفة الطيب رائحتها كطيب رائحة البان بل
اعظم واشار بالعيس الى امته لطربهم عند سماع المدح كطرب العيس عند

سماع صوت الحادي واشار بالنغم الى المدح وحاصل المعنى على هذا اما يلة
عذبة النبي صلى الله عليه وسلم عند سماع المدح واطرب المادح امته
بمديحه صلى الله عليه وسلم وفي هذا البيت والذي قبله براعة الختام وتسمى
حسن المقطع وحسن الخاتمة وهي في الشعر عبارة عن ختم القصيدة باجود
بيت يحسن السكوت عليه لانه اخر ما يبقى في الاسماع وربما حفظ دون
غيره لقرب العهد به ويوجد في بعض النسخ ابيات لم يشرح عليها احد من
الشارحين لكن لا باس بها وهي

ثم الرضى عن ابي بكر وعن عمر ❁ وعن علي وعن عثمان ذي الكرم
والال والصحب ثم التابعين فهم ❁ اهل التقى والنقى والحلم والكرم
يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا ❁ واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم
واغفر الهي لكل المسلمين بما ❁ يتلوه في المسجد الاقصى وفي الحرم
بجاه من بيته في طيبة حرم ❁ واسمه قسم من اعظم القسم
وهذه بردة المختار قد ختمت ❁ والحمد لله في بدء وفي ختم
ابياتها قد اتت ستين مع مائة ❁ فرج بها كربنا يا واسع الكرم

فرج الله الكرب عنا وعن المسلمين ❁ بجاه سيد المرسلين ❁ واله وصحبه
اجمعين والحمد لله رب العالمين ❁ وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركه
يوم السبت المبارك لثمان وعشرين خلت من شهر ذي القعدة سنة ١٢٦٦ بعد
الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية على يد العبد الفقير
الى مولاه المنعم القدير محمد بن المرحوم يوسف الصفتي غفر الله ذنوبهما ❁ وستر عيوبهما
ولكل المسلمين اجمعين بجاه سيد المرسلين والمرجو ممن طالع فيها ورأى لحنا ان يصلح ❁ او حرفا
من غير نقط ان ينقطه ❁ او كلمتين مقدمة وحقها التاخير ❁ ان يكتب على ما كان مقدما
اشارة الى ان ما تاخرت حقها التقدم وما تقدمت حقها التاخير ❁ فاذا فعل هذا
كان من الماجورين ❁ وان لم يفعل كان من الماخوذين ❁ فكن يا اخي للعيب ساترا لما
كتبته اليد الضعيفه ❁ وغير مضارب لما خطته وسطرته اليد الفقير المنيفه
فرحم الله امرا ستر اخاه ❁ وسبل عليه ذيله وغطاه ❁ اللهم اغفر لنا ذنوبنا ❁